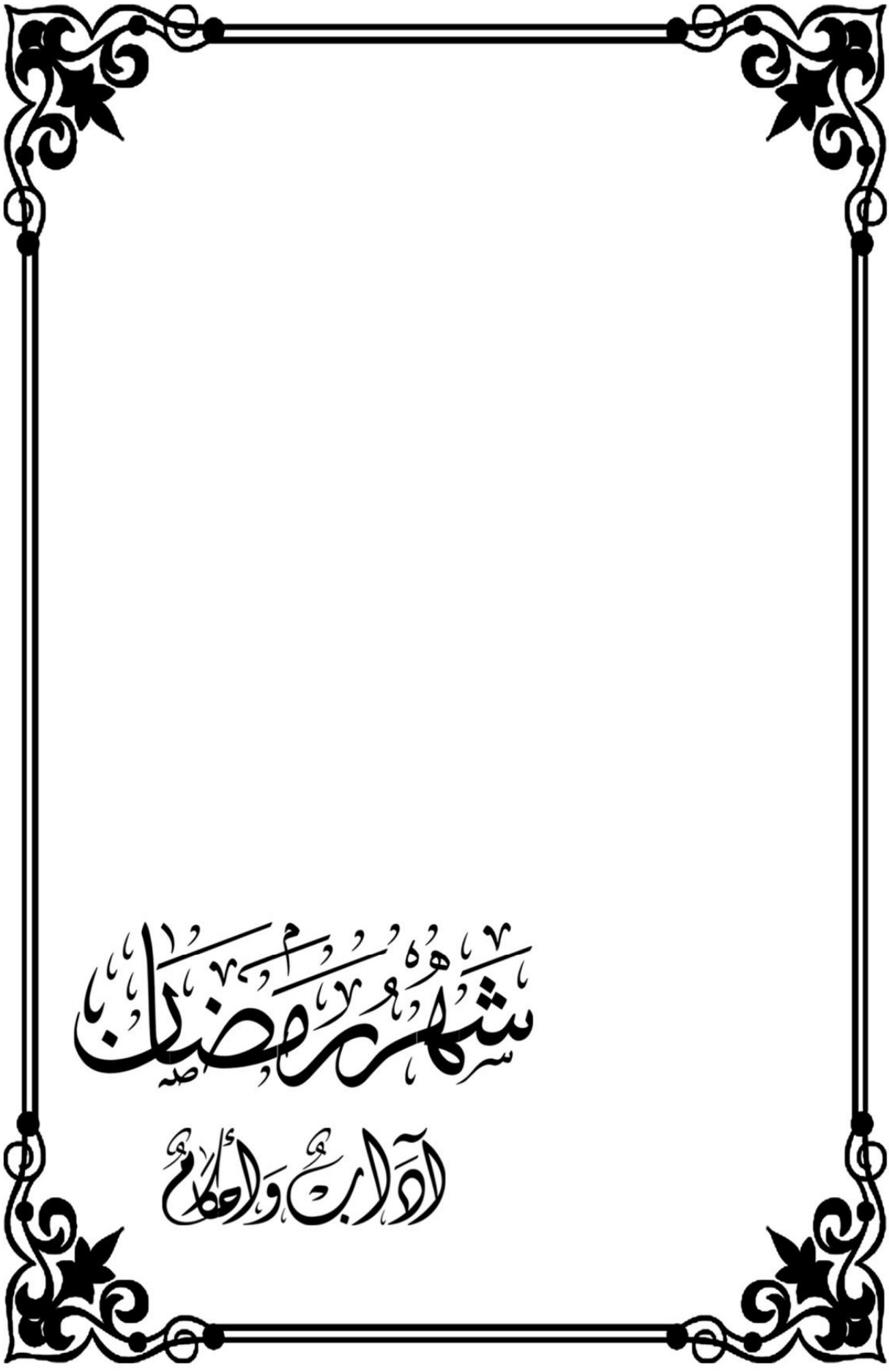
شهر رمضان
آداب وأحكام

جميع الحقوق محفوظة

يُسْمَحُ بِطِبَاعَةِ الرِّسَالَةِ
لِلانْتِفَاعِ الشَّخْصِيِّ فَقَطْ لَا التُّجَارِيِّ

شهر رمضان

آداب وأحكام

لفضيلة الشيخ

أبي عبد الرحمن هشام بن فؤاد البيلي

اعتنى بها

أبو عبد الرحمن حمدي الآذيد

الإصدار الثاني

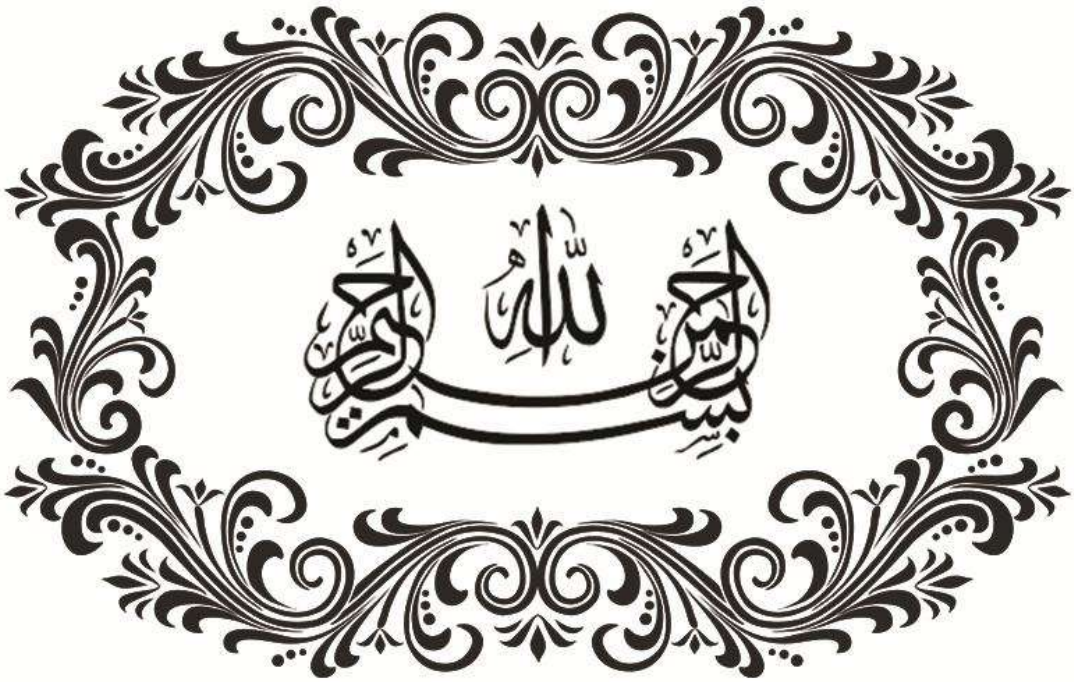
بسم الله الرحمن الرحيم

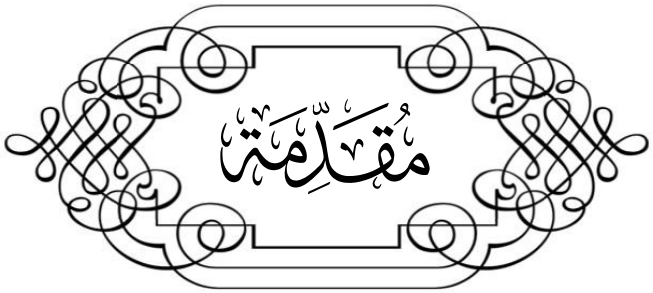

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا لَا يَنْفَدُ، أَفْضَلَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَدَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى أَفْضَلِ المُصْطَفَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَعَبَّدَ [1].

أَمَّا بَعْدُ: فقد تَوَفَّرتْ لديَّ عِدَّةُ تفريغات لبعضِ خُطَبِ ومحاضرات [2] فضيلة الشيخ/ هشام بن فؤاد البيلي -حفظه ربُّ البَرِيَّات- المتعلِّقة بأحكامِ الصيامِ عامة وصومِ رمضان خاصة وغيرهما من القَضِيَّات، فرأيتُ أنه من الأنفع لي ولعمومِ المسلمين -لاسيما ونحن على أعتابِ شهرٍ كريم- جمعَ شَتاتِ هذه التفريغات -وكلُّها من تفريغي- في رسالةٍ واحدةٍ، بَعْدَ إعادةِ ترتيبِها وتقسيمِها وعَنْوَنَتِها وضَمِّ الفائدةِ الواحدةِ إلى بابِها.

واللهَ أسألُ الإخلاصَ والقبولَ. ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧].

---

(١) مُقدِّمة كتاب (زاد المُسْتَقنِع) للعَلَّامة الحَجَّاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) وهي: محاضرة (فقه الصيام)، ومحاضرة (أول ليلة في رمضان)، ومحاضرة (وقفات بين يدي رمضان)، ومحاضرة (وقفة مع طلبة العِلم بعد رمضان)، ومحاضرة (فقه الاعتكاف)، وخطبة (استقبال شهر رمضان)، وخطبة (كن ربانيًا ولا تكن رمضانيًا)، وأول عشرين دقيقة من شرح (كتاب الصيام من كتاب عمدة الفقه) لمُوفَّق الدين ابن قُدامة المقدسيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذا، وقد قمتُ بتسميةِ هذه الرِّسالة: (**شهرُ رمضانَ.. آدابٌ وأحكام**)، وقَسَّمْتُهَا إلى ثلاثةِ فُصولٍ وأقسام:

الفصلُ الأول: وَقفاتٌ بين يدَي رمضان.

- **الوقفةُ الأُولَى: نِعمةُ بلوغِ شهرِ رمضان.**
- **الوقفةُ الثَّانية: كيفَ تستقبلُ شهرَ رمضان؟**

✓ **أولًا:** بَدارِ [1] إلى التوبةِ، وأنْ تَكُونَ محلًا لنزولِ فضلِ اللهِ عليكَ.

✓ **ثانيًا:** وقفةٌ مع القلبِ.

✓ **ثالثًا:** رمضانُ وفضائلُ الأعمال.

✓ **رابعًا:** رمضانُ وعبادةُ الوقت.

✓ **خامسًا:** الجنةُ والنار تستقبلانِ رمضان، فأينَ استقبالُكَ أنتَ؟!

✓ **سادسًا:** كيف تقضي يومًا رمضانيًا على وفقِ ما يحبه الله ويرضاه؟

✓ **سابعًا:** لابد أنْ نتعلمَ أحكامَ الصيامِ.

الفصلُ الثاني: رمضانُ.. وقفاتٌ وتأملاتٌ.

- **الوقفةُ الأُولَى: فقهُ الصِّيامِ.**

✓ **أولًا:** تعريفُ الصِّيام، وهل يَلْزَمُ لصَوْمِ رمضان تبييتُ النِّيةِ أَمْ لا؟

✓ **ثانيًا:** حُكْمُ الوِصَال، وفوائدُ تعجيلِ الفِطْر.

---

(١) اسمُ فِعْلِ أمرٍ بمعنى بَادِرْ؛ أي أَسرِعْ.

✓ **ثالثًا**: حُكْمُ صَوْمِ رمضان.

✓ **رابعًا**: أنواعُ الصِّيامِ، وبيانُ أنه تَدُورُ عليه الأحكامُ الخمسة.

✓ **خامسًا**: بِمَ يَجِبُ صيامُ رمضان؟

✓ **سادسًا**: حُكْمُ صيامِ يَوْمِ الشَّكِّ.

✓ **سابعًا**: على مَن يَجِبُ صيامُ رمضانَ؟

✓ **ثامنًا**: مُفْسِدَاتُ (=مُفَطِّرات) الصِّيام.

○ **الوقفةُ الثَّانية: فقهُ الاعتكافِ.**

✓ **أولًا**: تعريفُ الاعتكاف.

✓ **ثانيًا**: زمنُ الاعتكاف.

✓ **ثالثًا**: أقسامُ الاعتكاف.

✓ **رابعًا**: آدابُ الاعتكاف، ومتى يَبْطُل؟

✓ **خامسًا**: حُكْمُ خروجِ المُعتكِف من المسجد.

✓ **سادسًا**: هل تَجُوزُ زيارةُ المُعتكِف؟

✓ **سابعًا**: احْرِصْ على تحرِّي ليلةَ القَدْرِ.

○ **الوقفةُ الثَّالثة: فقهُ صَدقةِ الفِطْرِ:**

✓ **أولًا**: حُكْمُ صدقة الفطر، ومقدارها.

✓ **ثانيًا**: على مَن تَجِبُ صدقةُ الفطر؟

✓ **ثالثًا**: حكمُ إخراجِ صدقة الفطر مالًا.

✓ **رابعًا**: وقتُ إخراج صدقة الفطر.

✓ **خامسًا**: حُكْمُ التَّوْكِيلِ في صَرْفِ صدقةِ الفطر.

الفصلُ الثَّالث: ماذا بَعْدَ رمضان؟

✓ **أولًا**: عُبودِيَّةٌ يَغْفَلُ عنها كثيرٌ من الناسِ بعدَ رمضان.

✓ **ثانيًا**: هل قُبِلَ صِيَامُكَ أَمْ لا؟

✓ **ثالثًا**: هل تغيَّرَ حالُكَ وازدادتْ طاعتكَ بعدَ رمضان أَمْ لا؟

✓ **رابعًا**: إنْ كان قد انتهَى رمضانُ، فإنَّ التَّعَبُّدَ لمْ ينتهِ.

✓ **خامسًا**: العُبوديةُ وظيفةُ العُمْرِ.

✓ **سادسًا**: مَواسِمُ الطَّاعاتِ لا تنتهي.

✓ **سابعًا**: فَوائدُ المواظبةِ على الطَّاعة.

✓ **ثامنًا**: رَاجِعْ نفْسَكَ، وجَدِّدْ إيمانَكَ.

وكتبه:

أبو عبد الرحمن حمدي آل زيد.

٦ شعبان ١٤٣٧ هـ، الموافق ٢٠١٦/٥/١٣ م

الفصل الأول

وقفات بين يدي رمضان

الوقفة الأولى

نعمة بلوغ شهر رمضـــان

(أيها الأحبةُ، إنَّها لنِعمةٌ عُظمَى ومِنَّةٌ كُبرَى أنْ يُدْرِكَ المُسْلِمُ رمضانَ، لِيَكُونَ في تَعْدَاد الصائمين، لِيَكُونَ في تَعْدَاد القائمين، التالين لآيات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، المُطعِمين الطعام، المعتكفين، القائمين الليل، الصائمين النهار) (١).

(فالحمدُ لله... (٢) أنْ بلَّغنا -وإياكم- هذا الموسمَ العظيم، ولمْ يجعلنا فيه من أَهْلِ القبور، ولا من الذين خُتم على أفواههم؛ فلمْ يَعُدْ لهم صلاةٌ، ولا ذِكرٌ، ولا تسبيحٌ، ولا تكبيرٌ، ولا تهليلٌ، بل أمدّنا بفضله من الحياة التي أعطانا إياها، فله الحمد) (٣).

(وإذا أردتَ أن تَعْرِفَ نِعمةَ اللهِ عليكَ، فأنا أسألكم -والسؤالُ هذا لي ولكلِّ أهلِ مسجدٍ-: في رمضان الماضي كان يصلي معنا أناسٌ في هذا المسجدِ؛ قاموا معنا، واعتكفوا معنا، وربما كانوا من الدعاة، كم فسَّرُوا، وكم قرأُوا القرآن.. أين هم الآن؟ تحت التراب! لو كان لأحدِهم أُمنيةٌ لقالَ: أَخْرُجُ.

---

(١) خُطبة: استقبالُ شهر رمضان.

(٢) حذفتُ ما بعد كلمة: فالحمدُ لله؛ حفاظًا على سياقِ العِبَارات، ولأنَّ المعنى مُكَرَّرٌ.

(٣) محاضرة: وقفاتٌ بين يدي رمضان.

طيب لماذا تَخْرُج؟ لترَى أبناءَكَ -فمنذ سَنة لمْ ترهم-؟ لترى زوجتكَ؟ لتعودَ إلى تجارتكَ؟

[سيجيبُ:] [(١)] لا.

لماذا [إذًا]؟!

[سيقولُ:] لأصومَ معكم رمضان، لأقومَ معكم رمضان، أقرأُ آيةً واحدةً! آية!

فقد عاينتُ قيمةَ الآيةِ.. فقد عاينتُ قيمةَ السجدةِ.. فقد عاينتُ قيمةَ الركعةِ.. فقد عاينتُ ما معنى «**مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ**».. عاينتُ التصدق بالتمرة!، عاينتها، فلو أن لي تمرةً يا ربي، لو أن لي تمرةً فقط فأتصدّق بها، لو أنّ لي ثانيةً واحدة! فأركع فيها أو أسجد.

فأنتَ الآن مُعافَى، فسل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يبلِّغك رمضان، ولا تُفوِّت الفرصة حتى إذا أقبلتَ على ربك سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أدركتَ قيمة كلامي هذا) [(٢)].

(أيها الأحبةُ، لا شك أنَّ هذه نعمةٌ عظيمة ومِنَّةٌ جسيمة؛ أنْ يُبلِّغنا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ -وإياكم- هذا الموسم العظيم وهذا الشهر الجليل؛ فإن الإنسانَ

---

(١) كلُّ ما تجده بين معقوفتين [] سواء في أصلِ الرسالة أو الحاشية، فهو إضافةٌ مني لتوضيحِ المعنى.

(٢) محاضرة: فقه الصيام.

يفرحُ ببلوغ الطاعات، بتحقيق العبادات، كيف لا وهو يَعْلَمُ أن مرتبته ومنزلته عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقدر طاعته.

فليس مَن لقي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بألفِ ركعة كمَن لقيه بألفٍ وواحدة، وليس مَن لقي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعشرِ ختمات كمَن لقيه بإحدى عشرة ختمة، كما جاء عند بعض أصحاب السنن؛ «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ كُنْتَ تَقْرَؤُهَا**».

إنَّ منزلة العبد على قدرِ طاعته، ولهذا كان من فضلِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على العبد أن يُطِيلَ عُمْرَهُ وأنْ يُحسِّنَ عَمَلَهُ، «**فَخَيْرُكُم مَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ**»[١]، (ولو عاشَ الإنسانُ مائة سَنةٍ لكان محتاجًا إلى رمضانَ، ولو عاش الإنسان ألفَ سَنة لكان محتاجًا إلى رمضان أيضًا؛ لأن في رمضان تكثر الحسنات وتنقص الذنوب والخطايا، ويُقبِلُ الإنسان على ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بجبال عظيمة من الحسنات)[٢].

(فالحمدُ لله -وأيُّ حَمْدٍ- أنْ بلَّغنا -وإياكم- هذه الليالي العظيمة وهذه الأيام المباركة، فنسأله سبحانه بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ كما بلَّغنا -وإياكم- هذه الليالي والأيام

---

(١) محاضرة: وقفاتٌ بين يدي رمضان.

(٢) خطبة: استقبال شهر رمضان.

أنْ يرزقنا -وإياكم- فيها حُسْنَ العمل، اللّٰهم اجعلنا ممَّنْ قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، وممَّنْ صامه إيمانًا واحتسابًا، وممَّنْ أدركَ ليلةَ القَدْرِ إيمانًا واحتسابًا) [١].

(١) محاضرة: وقفاتٌ بين يدي رمضان.

الوقفة الثانية

[كيفَ تستقبلُ شهـــرَ رمضـــــانَ؟]

أَوَّلًا:

بَدَارِ إِلَى التَّوْبَةِ، وَأَنْ تَكُونَ مَحِلًّا لِنُزُولِ فَضْلِ اللهِ عَلَيْكَ

(أمَا وقد مَنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليكَ؛ بأنْ بلَّغكَ رمضانَ إن شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فينبغي أنْ تُنَظِّفَ نفْسك أولًا، وأن تُجَهِّزَ نفْسك أولًا، وأن تُعِدَّ نفْسك أولًا إعدادًا عظيمًا؛ لتكون محلًا لنزولِ فضلِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليك، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد:١٧].

فلابُدَّ أنْ تَكُونَ تقيًّا، لابُدَّ أنْ تَكُونَ محلًّا لنزولِ فضلِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليكَ، لابُدَّ أنْ تَكُونَ مُؤَهَّلًا لأَنْ يُنعِمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عليكَ بفتحِ بابِ الخيرات.

فوَرَبِّي لا يُوَفَّقُ الإنسانُ إلى الطَّاعات بذكاءٍ في رأسِه أو بِنَسَبٍ يَحُوزُه أو بمالٍ يجمعه، إنما هو توفيقُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أوَّلًا وآخِرًا، ومِنَّةُ الله عَزَّوَجَلَّ أوَّلًا وآخِرًا، فَلَهُ الحمدُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فبفضلِه تَتِمُّ الصَّالحات.

وإلا فالإنسان فقيرٌ بعقله، فقيرٌ بماله، فقيرٌ بِنَسَبِهِ، أنْ يُسبِّحَ تسبيحة واحدةً، أو أن يسجد سجدةً واحدةً، أو أن يُخرِجَ من ماله جنيهًا واحدًا.

لَوْلَا فضلُ اللهِ [عليكَ] ما أنفقتَ، لَوْلَا فضلُ اللهِ ما تصدقتَ، لَوْلَا فضلُ اللهِ ما ركعتَ، لَوْلَا فضلُ اللهِ ما ذكرتَ، لَوْلَا فضلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما صُمْتُ إيمانًا واحتسابًا.

فأنتَ فقيرٌ أخي، فلابد أن تكون مُؤَهَّلًا قبل هذا الشهر العظيم، وإن بقي فيه لحظات، ومن مِنَّةِ الله أنها لحظاتٌ تُستجاب فيها الدعوات، فأيُّ يومٍ هذا؟ أليس يوم الجمعة؟ الذي أخبرَ الحبيب المصطفى ﷺ أن فيه ساعةَ إجابة، وأنه ما من مسلمٍ يسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيها من خيري الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ.

إنها لحظاتٌ فاصلة تلك اللحظات الباقية من شهرِ شعبان، والتي تَقْدُمُ رمضان [١]، لحظاتٌ تُسكَبُ فيها العَبرات، لحظاتٌ تُقبِلُ فيها بصدقٍ، أنا أقول

---

(١) (الحقيقةُ [نحن في] غفلة، فنحن لا ننتبه إلا عندما يتساءلون: هل غدًا رمضان أم لا؟ سأعطيكَ اختبارًا يسيرًا -وأنا أختبرُ نفسي قبلكم- ولكن كن صادقًا مع نفسك: كم مرةً دعوتَ: اللّٰهم بلِّغنا رمضان؟

دعنا لا نذهبُ بعيدًا إلى أول السنة الماضية، ولكن حتى وقتٍ قصيرٍ كم مرة قلتَ: اللّٰهم بلغنا رمضان؟

بالأمس عندما سمعتَ أن اليوم هو المتمم لشعبان هل شعرتَ بشيء من قبضة في قلبك؟ أنك وأنتَ تودِّع مَن كان معك.. دفنتَ، كلُّ يومٍ تَحْضُرُ جنازةً، وإذا لمْ تَحْضُرْ فتسمع، وإذا لمْ تسمع =

لكَ: احمدِ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أن هذه اللحظات هي التي بقيت على رمضان، وهذا يوم إجازة فما يضر الإنسان إذا جلس بعد صلاة العصر يجأر إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يوفقه لاستغلال هذا الشهر المبارك، لاستغلال موسم الخيرات؛ لأنك إنْ خرجتَ منه من الفائزين فلله الحمد والمنة، فقد ربحتَ ربحًا يعجز عنه -واللهِ- بل عن ثوابِ حسنة من حسناته يستقل الإنسانُ الدنيا وما فيها.

فليس للدنيا وزنٌ مع حسنةٍ واحدة، أليس النبي ﷺ القائل: «**لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»؟

أليس النبي ﷺ القائل: «**يَا عَبْدَ اللهِ بنَ قَيْسٍ**». قال: لبيك وسعديك يا رسول الله. قال: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟**». قال: بَلَى يا رسولَ الله. قَالَ: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»؟

إنَّ حسنةً واحدة يأخذها الإنسان من ذِكرِ الله عَزَّوَجَلَّ لا توازيها الدنيا، فما بالكم بصيام رمضان إيمانًا واحتسابًا، وبقيام رمضان إيمانًا واحتسابًا؟

فترَى، الخَلْقُ هكذا، فَتَعَلَّقَ قَلْبُكَ: يا رب، يا رب؛ ما زالت هناك ليلةٌ تَفْصِلُكَ عن رمضان.. كم مَرَّة؟ مائة؟ هذا كثير. خمسون؟ مَرَّة؟

[كم مَرَّةً دعوتَ اللهَ] بصدقٍ: اللّٰهم بلِّغنا رمضان، اللّٰهم بلِّغنا رمضان؟ كم مَرَّةً؟

عَرَفْتُمْ أننا في غفلةٍ فعلًا، في غفلةٍ يا إخواني واللهِ، [نحن] في غفلةٍ). اهـ [محاضرة: أولُ ليلةٍ في رمضان]

أيها الأحبةُ، لابُدَّ من توبةٍ قبل هذا الشهر، لابد للإنسان أن يتوب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذا كان الإنسان مذنبًا -ولا شك-، فإنْ كان الذنبُ مُتعلِّقًا بحق العِباد فلابد أنْ تتوبَ توبةً صادقةً من هذا الذَّنْبِ.

وشُرُوطُ التَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ الَّتِي تتعلَّقُ بِحَقِّ العِبادِ سِتَّةٌ:-

أَمَّا الشَّرْطُ الأَوَّلُ: فأنْ تَكُونَ مخلصًا للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في توبتِكَ، مُقْبِلًا على الله عَزَّوَجَلَّ، مُنِيبًا له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أنْ تَكُونَ توبتُكَ خالصةً، أن تكون توبتك صادقةً، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يَقْبَلُ من الأعمال إلا ما كان الإنسان مخلصًا فيه مبتغيًا وجهه على وِفق شريعة النبي ﷺ.

والتوبةُ من أعظم الأعمال؛ لذا يُشترط فيها ما يُشترط في بقية الأعمال ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

الشرط الثاني: أن تكون التوبةُ واقعةً في وقت الإمكان، ووقتُ الإمكان وقتان: وقتٌ عام لجميع البشر، وهو قبل أن تطلع الشمس من مغربها، فقبل أن تطلع الشمس من مغربها فمَن تاب إلى الله تاب الله عليه، أما إذا طلعت الشمس من مغربها فـ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨].

وأما الشرط الثالث: فأن تُقلِعَ عن هذا الذنب والمعصية.

وأما الشرط الرابع: فأن تندم على ما بدرَ منك وما صدرَ منك.

وأما الشرط الخامس: فأن تعزم على عدم العودة إلى هذا الذنب مرة ثانية.

وأما الشرط السادس وهو الأهم والفيصل والفارق بين ما إذا كان الذنب يتعلق بحق الله أو بحق مخلوقٍ، بأن ترد المظلمة إلى أصحابها، أن تتحلل من هذه المعصية من أصحابها.

لو تبتَ وندمتَ وعزمتَ وأقلعتَ لكنك لمْ تستحل هذه المظلمة [من صاحبها] فإنَّ التوبة موقوفة، فمَن أخذَ مالًا من آخَر وأرادَ أن يتوبَ فلابد من ردِّه، ومَن اقتطع حقَّ امرئٍ مسلمٍ منه بغيرِ بحقٍّ وأراد أن يتوبَ فلابد من ردِّ المظلمة، ومَن أَغضبَ شخصًا أو اغتابه أو اعتدى على عرضه فلابد من استحلاله قبل أن تلقى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فـ «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ**» كما قال ﷺ في الصحيح وهو يقرر هذه القاعدة العظيمة في الأمة، «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**».

ولقد وقفَ النبي ﷺ موقفًا مهيبًا عظيمًا ما وقفته أُمة الإسلام قط مع نبيها ﷺ، إنها حجة الوداع التي خرجَ المسلمون يريدون الحج مع رسول الله ﷺ، حاطوه من كل حدبٍ وصوب، وجاؤه من كل فج عميق، وخرجوا رجالًا وركبانًا؛ ليشهدوا الحجة الكبرى مع النبي ﷺ.

والنبيُّ ﷺ يستثير حماسهم للأخذ عنه، فإنه القائل: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ فَلَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا**»، وتتوافر الدواعي وتعلو الهمم للاقتباس من رسول الله ﷺ وهَدْيِه؛ قولًا وفعلًا، لحْظًا وسَمْتًا، فحُفرتْ كلماته ﷺ في تلك الحجة، حُفرت كلماته في قلوب أصحاب النبي ﷺ وتحولت إلى منهج عظيم.

وبينما الصحابة حوله، وقفَ النبي ﷺ خطيبًا قائلًا كما جاء في الصحيحين من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويسأل الصحابةَ العقلاءَ الأذكياءَ أسئلةً لا تَخْفَى عليهم، فقال ﷺ: «**أَتَدْرُون أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟**»، قالَ: فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «**أَتَدْرُون أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟**»، قالَ: فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قال: «**فَأَيُّ بَلَدٍ هَذِهِ؟**»، قالَ: فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ.

كلُّ هذه الأسئلة الواضحة يقول الصحابة: الله ورسوله أعلم.

فقال النبي ﷺ: «**أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟**» قالوا: بَلَى.

يومٌ لا يَخفى، هو يومُ النحرِ، «**أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟**» سكتوا، قال النبيُّ: «**أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟**»، قالوا: بَلَى.

« **أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟**»، أيخفى على واحدٍ من الصحابة أنه ذو الحجة؟! لكنهم قالوا: اللهُ ورسوله أعلم، فقال: «**أَلَيْسَ ذَا الحَجَّةِ؟**»، قالوا: بلى. قال: «**فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟**»، فسكتنا. قال: «**أَلَيْسَ البَلَدَ الحَرَامَ؟**»، قالوا: بلى.

كلُّ هذه المقدمة، لِمَ؟ كلُّ هذه المقدمة التي تبين حرمة الدم، فاليوم أعظم الأيام يوم النحر، والشهر من الأشهر الحُرُم ذو الحجة، وحرمة المكان فالبلد مكة خير بقاع الأرض، مكة التي حرَّمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا يحل لأحدٍ أن يسفك فيها دمًا، ولا أن يعضد بها شوكةً، ولا أن يلتقط لقطتها، ولا أن ينفِّر صيدَها، فالصيدُ آمن، والطيرُ لا يُزجر ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧].

تلك المقدمة هل [كانت] لنفْسِها؟!

لا، وإنما قال ﷺ [ذلك]؛ لينتقلَ من حرمة الزمان وحرمة المكان إلى حرمةٍ أعظم.. إلى حرمةٍ تفوق ذلك كله، ولو كانت البلدُ مكة، ولو كان اليومُ يومَ النحر، ولو كان الشهر شهرًا محرَّمًا، «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ بَيْنَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**».

مقدمةٌ عظيمة لو وقفَ عندها المجتمع المسلم، «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ..**»، «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَعِرْضُهُ**».

لهذا جاء في الأثر أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نظرَ إلى الكعبة يومًا، ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أعظمَ حرمتكِ عند الله!

حرمةُ الكعبة التي تهابها النفوس، والتي إذا نظرَ إليها الإنسان رقَّ قلبه ودمعتْ عيناه، فما منظرٌ أهيبُ في قلبِ المسلم من الكعبة، ولكنَّ ابن عمر ينظر إليها قائلًا: لكنَّ حرمةَ المسلم عند اللهِ أعظمُ.

فيا عبدَ الله في لحظاتك الأخيرة قبل رمضان كن محلًا للفضائل، كن محلًا لتوفيق الله لكَ، فما العجزُ والكسل بعيدان عنكَ إن لم تكن محلًا لتوفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومَن أقبل على الله صادقًا مخلصًا تائبًا تابَ الله عَزَّوَجَلَّ عليه، ومَن تاب الله عليه غسله من ذنبه وأهَّله لتلقي تلك الفضائل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: ١-٤].

لِمَ هذا الإعدادُ؟

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [المزمل:٥]، ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ [الإسراء:٧٩].

لماذا؟

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء:٧٩].

فلنزولِ الفضائل شروطٌ، ولأنْ تَكُونَ محلًا لتوفيقِ الله عَزَّوَجَلَّ أمور لابد أن تأتي بها، وإلا ليس كلُّ أحدٍ يُحصِّلُ فضلَ الله عَزَّوَجَلَّ.

وأمَّا إذا كان الذنبُ يتعلَّقُ بحقِّ اللهِ فخمسةٌ من هذه الشروط، هي كلُّها عدا أنْ تَرُدَّ المظلمةَ إلى أصحابها.

أمَّا إذا كان الذنبُ يتعلَّقُ به، فحقُّ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مبنيٌّ على المسامحة، فمَن تابَ إلى الله تاب الله عليه، من أي ذنبٍ كان؟! من أي ذنبٍ كان.

من زِنا تَعَدَّدَ؟! نعم.

من رِبا تَعَدَّدَ؟! نعم.

من ذنوبٍ ولو بلغتْ عنان السماء، ولو كان فيها شركٌ باللهِ، وكفرٌ بالله، وسبٌّ لله.

فمَن تابَ إلى الله، ورجع إلى الله، وأناب إلى الله، ففيه قولُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣].

«يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».

أليس اللهُ توابًا؟! أليس اللهُ رحيمًا؟! أليس اللهُ عَزَّوَجَلَّ الآمِرَ رسولَهُ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه:٤٣، ٤٤] (١).

(فيا أيها الأحبة، لابد أن نتغير، ولهذا جاء في الصحيحين أن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي رَمَضَانَ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ**».

وهو أقربُ الخَلْق إلى الله، وأخشى الخلق لله، وأتقى الخلق لله، ومع ذلك كان يتغير!

أمَا يليق بي وبكَ وقد أَسرتنا الذنوبُ وأحاطتْ بنا الخطايا أن نضعَ ذلك على أعتاب هذا الشهر؛ لنُقبِلَ على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في غاية النظافة والصدق والإخلاص؛ حتى نكُون أهلًا لأن يَمُنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علينا بهذه الفضائل؟!

إنَّ كلَّ فضيلةٍ في الشرع -عمومًا في الصيام وغيره- منوطٌ تحقُّقها وحصولُ الأجر فيها بتوافر الشروط وانتفاء الموانع.

فكن يا عبدَ اللهِ مُؤهَّلًا بانتفاءِ الموانع وتحقُّقِ الشروط لأنْ يُنْزِلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليكَ فضلَه، وأنْ يوفقك الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يُوفَّق الإنسانُ في رمضانَ بذكاءٍ عقليٍّ ولا بكبرِ سنٍّ ولا بكذا وكذا، إنما هو توفيقُ الله عَزَّوَجَلَّ، يُوَفِّقُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَن يكُون أهلًا؛ فضلًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورحمةً منه) (٢).

---

(١) خُطبة: استقبال شهر رمضان.

(٢) محاضرة: فقهُ الصيام.

ثَانِيًا:
وَقْفَةٌ مَعَ الْقَلْبِ

(ابحث لقلبِكَ -وبدون مجاملة- عن موضعٍ في هذه الأيام التي ستمر كلمح البصر ولعلها أقرب، ابحث لقلبك عن موضعٍ من الآن، ابحث لقلبك عن موضع بين الخاشعين، ابحث لقلبك عن موضع بين الدامعين، ابحث لنفسك وقلبك عن موضعٍ بين المُنيبين الذين يقفون مع آيات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

لو لمْ يكن في الشهر ميزة إلا أنَّ سَمْعَكَ ستمر عليه ختمتان من كتاب الله لكفى بذلك شرفًا.

أقول: لو لم يكن لهذه الأيام من فضلٍ إلا أنه ستمر على سمعك ختمتان؛ ختمةٌ في التراويح -إن شاء الله وقدَّر- وختمةٌ في التهجد، لو لم يكن لهذه الأيام من فضلٍ إلا هذا لكفى.

في شهرٍ واحد تمرُّ عليك آياتُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فيها وَعْدُه ووعيدُه، وفيها جنتُه ونارُه، وفيها جزاءُ أوليائه وعقابُ أعدائه، وفيها ما تقرُّ به عينُك، وما ينشرحُ به صدرُك.

مع كلِّ آيةٍ من آيات القرآن منهجٌ رباني وهدايةٌ خاصة -لو تدبرها الإنسانُ- ، واللهِ مع ﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البقرة:١] وقفاتٌ؛ حين يكون هذا الكتاب الذي أعجزَ اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ به الخَلْقَ جميعًا، وتحداهم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أنْ يأتوا بمثله أو بِعَشْرِ سُوَر أو بسورة فعجزوا!

إن هذا القرآن لمْ يكن أعجميًا، وإنما هو مُؤَلَّفٌ من حروف عربية ننطق بها جميعًا، كلنا ينطق بالألف واللام والراء والميم والصاد والقاف والهاء وغير ذلك، لكن أينا يقدر على أن يأتي بآيةٍ واحدة؟!

أنا لا أوجِّه الخطابَ إلينا؛ فنحن -وإن تكلمنا العربيةَ- أعجميون! ولكنَّ هذا الخطاب كان لأفصح البشر وأعظم البشر بيانًا، لقد أُوتوا البيان سليقةً، فكان أحدهم يتكلم بالعربية كأنما يتنفس أنفاسًا ويشرب ماءً باردًا، لا يُعجِزه أن يأتي بالقصائد الطوال في لحظات، ولا يعجزه أن يعيد الكلام بلا سَقْطٍ في حرف، لقد كانوا يُقِيمُون للشِّعْرِ والبيان والفصاحة أسواقًا كما نُقِيمُ نحن أسواقًا للسيارات وأسواقًا للملابس وأسواقًا للبيع والشراء، لقد كانوا يُقِيمُون أسواقًا للفصاحة والبيان.

وسبحانَ الله ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨]، فهل أتى أَحَدٌ بمثلِ القرآن؟ ولا نقول كما تقول المعتزلة: إنهم قادرون ولكنَّ الله صَرَفَهُم، فيكون دليلُ الإعجازِ دليلُ الصَّرْفَةِ؛ أي أنَّ الله صرفهم أنْ يأتوا بمثل هذا القرآن وإلا هم قادرون.

بئس ما قالوا ألفَ مرة! بل لا يَقْدِرون، وكيف يتم التحدي إذا كتَّفْتَ إنسانًا ثم ألقيته في اليَمِّ وقلتَ له: إياك ثم إياك أن تغرق!

إذا كان اللهُ قد صَرَفَهُم، فكيف يَحْصُلُ التحدِّي؟! وكيف يكون القرآن معجِزًا لقومٍ صرفهم الله وهم قادرون؟!

أبدًا، ولكنْ ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء:٨٨].

فتمرُّ على مسامعِكَ آياتُ الله في هذا الشهرِ المبارك.

فلابد أن تقف مع قلبِكَ وقفةً، أنا لا أقول: آخِّر المحاسبةَ إلى دُبُرِ الصلاة: هل وجدتَ قلبك الليلة أم لا؟ بل أقول لك: قِفْ مع قلبِكَ في كل آية.

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١، ٢]، [هل] وقفَ قلبُكَ؟!

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة:٣]، وقفَ قلبُكَ؟!

مع كل آيةٍ، لا تؤخِّر المحاسبةَ إلى آخِرِ الليل ثم تسألُ نفسكَ أين قلبي؟! لا، إنه لأمدٌ بعيد وزمنٌ طويل أن تؤخِّر المحاسبة إلى عقبِ جُزْءٍ كامل من القرآن، ثم تسأل نفسك: هل استفدتَ أم لا؟ هل وجدتَ لقلبك موضعًا أم لا؟

أيما قَلْب لمْ تحرِّكه آياتُ اللهِ فليكبِّرْ عليه أربعَ تكبيرات، وليدعُ عليه دعاءً حارًا، فإننا لا نخاله من قلوب المتيقظين، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ بمنه وكرمه أن يرزقنا -وإياكم- قلوبًا حيّة، ولو طَهُرتْ قلوبنا لَما شبعتْ من كلامِ الله) (١).

---

(١) محاضرة: وقفاتٌ بين يدي رمضان.

ثَالِثًا:

رَمَضَانُ.. وَفَضَائِلُ الْأَعْمَالِ

(أيها الأحبة، حَلبةُ سباقٍ عظيمةٌ.

أيها الأحبة، وقتُ منافسةٍ خطيرٌ.

أيها الأحبة، شهرٌ لا يتكرر.

أيها الأحبة، فضائلٌ تتصاعدُ وأعمالٌ تُضاعَف.

هَلُمَّ، «**يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ**»، فقد جاء عند الترمذي وابن ماجة بسندٍ حسن أن النبي ﷺ قال -انتبهوا-: «**إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ..**»، تلك الليلة التي ستأتي إن شاء الله، نسأل الله أن يبلِّغنا وإياكم، «**إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الجِنِّ**».

الحمدُ لله، قُيدتْ، سُلسلتْ، فلا تصلُ الشياطينُ إلى ما كانت تصل إليه في غير رمضان.

إقبالٌ على الشهواتِ.. فتحٌ في الأسواقِ.. إقبالٌ على المحرمات.. يتلاعب الشياطين بالإنسان ما عدا في رمضان، أمَّا [في] رمضان والإنسانُ صائم تقل معصيته، والإنسان قائم تهدأ نفْسُه، والإنسان صائم يقل مجرَى الشيطان؛ فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق، فضَيِّقوا عليه بالجوع.

وليس أن الشياطين تتسلسل وتُقيد تسلسلًا وقيودًا [بحيثُ] لا يفعلُ الإنسان المعصية، كما يزعم البعض: رمضان ليس فيه معصية، رمضان تُسلسل فيه الشياطين وتُصفد فلا أعصي ربي.

لا وإنما المعنى لا تصل الشياطين في رمضان إلى ما كانت تستطيع الوصول إليه في غير رمضان؛ نظرًا لإقبالِ الناس.. تُسلسل، تُقيد.

ثانيًا: «**وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَا يُغْلَقُ مِنْهَا بَابٌ**»، الله! فُتحت أبواب الجنة مع أول ليلة، استعداد.. استقبال.. لصائمين النهار، لقائمين الليل، لمنفقين الأموال، لتالين القرآن، إنه موسم الطاعات ولابد أن تتهيأ الجنة للاستقبال، فتُفتح أبواب الجنة ولا يُغلق منها بابٌ.

«**وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ النِّيرَانِ فَلَا يُفْتَحُ مِنْهَا بَابٌ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ**».

أيها العاصي أقبِلْ.. أيها المفرِّط أفقْ.. أيها الغافل انتبه.. أيها اللاهي عُد.

أيها التارك للصلاة فلمْ يكن يُحرِّك وجدانَكَ خمسُ مراتٍ يدعوك إليها المؤذِّن في اليوم والليلة فقط، ما حرَّكَكَ أذانُ فجرٍ ولا ظهرٍ ولا عصرٍ ولا مغربٍ ولا عشاءٍ، أتيتَ صلاةَ الجمعة فقط، أقبلْ، أقبلِ الآن، أقبلْ على اللهِ، أفقْ، فعسى أن يكون رمضانُ ميلادًا جديدًا ونقطةَ تحولٍ، وليس ذلك على الله ببعيد، فتلتزمُ الصلوات فلا تُضيِّعُ منها صلاة.

أمَّا أن تُقبِلَ في رمضان -ولم تكن تُقبِلُ قط- ثم بعد رمضان تَعُود إلى ما كنتَ عليه، فليس ذلك من توفيق الله عَزَّوَجَلَّ لكَ.

صلاةٌ واحدة تَضِيعُ منكَ عامدًا، اختلفَ أهل العلم هل تَكْفُرُ بذلك أم لا؟ فإن الخلافَ منقولٌ عن السلفِ فيمَن تركَ صلاةً واحدة أيضًا، وليس الخلافُ فقط قاصرًا على مَن تركَ الصلاةَ كلها، أيكون كافرًا كفرًا أكبر أو يكون كافرًا كفرًا أصغر فقط، لا بل الخلاف أيضًا في الصلاة الواحدة، في الصلاة الواحدة إذا تركها الإنسان متعمدًا هل يَكْفُر أم لا يكفر؟

صلاةٌ واحدة، فكيف تُعرِّض نفسك لهذا؟! أقبلْ على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، واعلم أن الصلاةَ أعظمُ من الصيام وأنَّ الله لا يَقْبَلُ الصيام من شخصٍ لا يصلي. أبدًا.

تلك مِنَحٌ، ثم يقول ﷺ -تتمةَ الحديثِ-: «**وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**».

يا الله! مرة ثانية: «**إِذَا كَانَتْ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ**».

يا باغي الشر أقصرْ؛ فإنَّ الزمنَ له حُرْمَة، فإنْ لمْ يُغفر لكَ في تلك المحطة، فمتى يُغفر لك؟!

إنْ لمْ تترك معصيتك في رمضان، فمتى؟!

إن لمْ تَعُد إلى الله، فمتى؟!

إن لمْ تتب إلى الله، فمتى؟!

إن لمْ تَرُد المظالم إلى أهلها في رمضان، فمتى؟!

إن لم تكن الراكعَ الساجدَ، فمتى؟!

إن لم تكن المُنفِق، فمتى؟!

إن لم تكن المُحسِن إلى زوجتك في رمضان، فمتى؟!

إن لم تكن مُحاسِبًا لنفسك، فمتى؟!

ثم -يا أخي- تَعرَّضْ لهذه النفحة العظيمة: للهِ عَزَّوَجَلَّ عتقاء في هذا الشهر من النار، ألا ترغب أن يُعْتِقَ اللهُ رقبتك من النار؟ بكم هذه؟ بكم أن يعتق الله رقبتك الليلة؟ فإنك لا تدري هل تمرُّ عليك ليلة أخرى أم لا؟

[هل] حمدتَ اللهَ أنْ بلَّغكَ رمضان؟ بالأمس دفنَّا، وقبل الأمس دفنا، وقبل ذلك دفنا، واليوم سندفن، وغدًا سندفن، وكلُّ مَن ماتَ لم يمت برغبته، ولمْ يمت لأنه قاصرُ فهمٍ، ولم يمت لأنه فقير، ولم يمت لأنه موظف على الدرجة الخامسة، ولم يمت لأنه موظف كذا، ولم يمت.. أبدًا، أبدًا، فقد يخرج الإنسان مسافرًا بسيارته فتكون قبرَهُ، وقد ينام الإنسان هادئ البال، ينام الإنسان غيرَ مريضٍ فيوقظه أهلُه إلى قبرِه!

كلُّ ليلةٍ يُعتِق الله من هذه الأمة رقابًا من النارِ، ألا ترغب في هذا يا عبدَ الله؟! إذا أردتَ أن تشتري تلك النعمة فبكم؟ ومن أي الأسواقِ ستشتريها؟ وعلى أي المحلاتِ ستقفُ ببابه؟

بابٌ واحدٌ ومحلٌ واحدٌ: بيوتُ اللهِ، بين يدي اللهِ، فتُسكب العَبرات، وتهتزُ القلوبُ، وتقشعر الأبدانُ، وتدمع العيون وراء أئمة يصلون ويقرأون ويتلون ويخشعون.

هو هذا الباب، هو هذا الباب وحده، صدقَ النبيُّ ﷺ؛ فقد جاء عند أحمد بسندٍ صحيحٍ قال: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ يَوْمًا، فَقَالَ مَعَ الدَّرَجَةِ الْأُولَى: «**آمِينَ**»، وَمَعَ الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ: «**آمِينَ**»، وَمَعَ الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ «**آمِينَ**».

لَمْ يَفُتْ هذا الصحابة؛ لابد أن نسأل ما الذي جرى للنبي؟ لم تكن من عادة النبي إذا صعد الدرجة الأولى أن يقول: آمين، أو الثانية، أو الثالثة، ما لهذه المرة يقول النبي ﷺ هذا؟!

قال الصحابةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَمِعْنَاكَ تَقُولُ: «**آمِينَ**»، «**آمِينَ**»، «**آمِينَ**»، فما «**آمِينَ**» هذه؟! فَقَالَ النبيُّ ﷺ -مما قالَ-: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ قَبْلَ..**»، وهو يصعدُ المنبرَ أتاه جبريلُ برسالةٍ عاجلةٍ، [هل هي] لأصحابِ النبي فقط؟ [لا، بل] ولكم يا أهلَ طنطا، ولكم يا أهل مطروح، ولكم يا أهل المغرب، ولكم يا أهل الصين، ولكلِّ مسلمٍ يعيش في زمانٍ من الأزمان، في بقعةٍ من البقاع.

«**أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ لِيَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللهُ -فَأَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ-، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ**».

«**مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ**» نعمةٌ يا إخواني. واللهِ أنا بالأمسِ أدفن رَجُلًا صحَّته، قوَّته، عافيته برَجُلين على الأقل، حصلَ له حادثٌ، قبلَ صلاة العشاء فرغنا من دفنه، ووقفتُ متأملًا؛ هذا سُجنَ في قبره وأنا الآن سُمح لي أنْ أَذْكُرَ [اللهَ]، واللهِ لو حييتُ بعده لحظةً واحدة، فقلتُ بها: سبحان الله، لكان منةً من الله ونعمة، فكيف إذا أدركتُ رمضانَ كلَّه، فأيُّ نعمة! إذا ازددتُ عنه تسبيحة

فتلك نعمة، فإذا ازددتُ عنه يومًا أصومه، شهرًا أقومه، ليلة قدر أتحراها، فأي فضلٍ سيكون أحبتي؟

«**مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ**»، ادعُ عليه يا رسولَ الله، قل: أدخله الله النار، قل: أبعده الله، آمين؟ آمين.

فضائل، جوائز، إننا نرى الناسَ يتهافتون على الأسواق، إذا كانت التخفيضات تصلُ إلى خمسين بالمائة، مزعومة، وهمية، ولكن نرى الناس يتنافسون إذا أرضٌ تُعرَض بمنحةٍ معينة، نرى الناسَ يتسابقون إلى أسواق، إلى محلات، إلى دنيا، إلى أراضي..

خُذوا تلك المِنَح: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**». «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**». «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

كم جائزة؟ مَن صامَ إيمانًا واحتسابًا، مَن قام إيمانًا واحتسابًا، مَن أدركَ ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، فضائلٌ عظمية وأعمال جليلة.

خُذْ عندكَ [أيضًا]: «**مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقِصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا**».

خُذْ عندك فضائل: هذا السحور الذي لا نلتفتُ إليه ولا ننتبهُ إليه، قال ﷺ: «**تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً**»، وقال ﷺ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ وَأَخَّرُوا السُّحُورَ**».

وقال ﷺ -الذين يحبون عافية الأُمة، الذين يحبون عودة الأمة إلى الله، الذين يحبون تقوية الأمة، أمَا تَعْلَم أن من أسباب قوةِ الأمة السحور؟! قد تقولُ كيف هذا؟ أليس السحور طُعْمَةً لا نلتفت إليها ولا ننتبه إليها؟- قال ﷺ: «**لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ، وَأَخَّرُوا السُّحُورَ**».

سبحان الله! فيا أُمَّةَ الإسلامِ، يا مَن توحدتي على وقتٍ واحد؛ فكان الفطرُ في وقتٍ، وكان السحور في وقتٍ، هذا درسٌ عملي إلى أن تَعُود الأُمة إلى ربها، هذا درسٌ عملي إلى أن نُثْبِتَ أن الأمةَ قادرةٌ على التوحُّد، وعلى العودة، وعلى الأَوْبة، وعلى الاتفاق، لا الاختلاف ولا الافتراق، لكن أنْ يَكُون الاتفاقُ على كلمة الحق، أن يكون الاتفاق على كتاب الله وعلى سنة رسول الله.

شهرٌ واحدٌ -واللهِ- كفيلٌ حين تتدبرُ الأمة وقتَ الإفطارِ [و] وقتَ السحورِ، أُمَّةٌ يحرِّكها اللهُ أكبر فتُفْطِر، أمةٌ يحرِّكها الله أكبر فتُمْسِك.

أمَا رأيتَ منظرَ المسلمين في بيت الله الحرام، وقبل الأذان بلحظاتٍ، بثوانٍ، والأيادي لا تتحركُ منها يدٌ واحدة، فإذا قال المؤذنُ: اللهُ أكبر، وتنظرُ إلى بيوتِ الله ومئات الألوف في ساحات الحرم وعلى أسطحته وبين جوانبه، فكلٌّ يضع التمرة في فيه في لحظة واحدة، أليس مئات الألوف درسًا عمليًا -إلى مئات الملايين- أن تَتَوَحَّد؟ وأنه لا تَوَحُّدَ إلا على طاعة الله، إلا بكتاب الله، إلا بسنة رسول الله ﷺ.

وأيضًا كلمةٌ واحدةٌ: اللهُ أكبر، فيمسك كلُّ واحدٍ عن الطعام والشراب ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ﴾ [البقرة:١٨٧].

أحبتي في الله، وتلاوةُ القرآن؛ فهي من فضائل الأعمال، فهو شهر القرآن ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ﴾ [البقرة:١٨٥].

كان النبي ﷺ يجتهدُ في رمضانَ ما لا يجتهدُ في غيرِه، إذا أقبلَ رمضانُ اجتهدَ النبي ﷺ فإذا أقبلتِ العشرُ الأخير أيقظَ الأهلَ، وشَدَّ المِئزرَ، وأحيا الليلَ، وهو ﷺ الذي قال الله في شأنه: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢].

أَقْبِلْ على القرآنِ، أَكْثِرْ من تلاوته، كان السلف الصالح رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يقولون: إذا أقبلَ رمضان فإنما هو إطعامُ الطعام وتلاوة القرآن، كانوا يَدَعُون دُروسَ العِلم في رمضان وإنما يتفرغون لتلاوة القرآن؛ فمنهم مَن كان يختمُ القرآنَ كلَّ أسبوع، ومنهم مَن كان يختم القرآن كلَّ ثلاث ليالٍ، ومنهم مَن كان يقرأُ القرآنَ في الليلةِ إذا أَقْبَلَ العَشْرُ (١).

---

(١) (ولعل قائلًا يقول: أليس النَّهْيُ قد وردَ في أنه لا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أنْ يختمَ القرآنَ في أقل من ثلاث؟

=

وعليكم -أحبتي في الله- بإطعام الطعام، إن كنتَ عاجزًا أن تصنع مائدة عظيمة للناس فلا أقلَّ من كيلو من التمرِ تتصدق به على فقراء ومساكين.

لابد أن تتعلمَ الجودَ والكرم، جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكون في رمضانَ حين يلقاه جبريل، فلَرَسُولُ الله أجودُ بالخير من الرِّيح المُرْسَلَة.

أحبتي في الله، أوصيكم وأوصي نفسي المُقصِّرة بتقوى الله، اللهَ اللهَ في رمضان، فالحمدُ لله أننا نقفُ على أعوادِ المنبر ولسنا مع مَن توفَّاهم اللهُ، والحمدُ لله أنكم تسمعون هذا وتحضرون الصلوات، والحمد لله أن بلّغكم رمضان، فاللهَ اللهَ..

هَبْ أخي أنك تحت التراب الآن، هب أخي أنك في تلك الحفرة الضيقة، هب أخي أنك أتاك الملكان يسألانك، هب أخي أنك انتقلتَ إلى الدار الآخرة،

أجاب بعضُ العلماء عن ذلك، قائلًا: ولكنه يُغتفرُ في رمضانَ ما لا يكون في غيرِه نظرًا لحال السلف المتواتر في ذلك، فقد نُقل عن بعضهم أنه كان يقرأ القرآن كل ليلة، ونُقل عن بعضهم أنه كان يقرأ القرآن في الركعة الواحدة، ونُقل عن الشافعي بسندٍ صحيحٍ أنه كان يقرأ القرآن مرتين في اليوم الواحد.

وكلُّ ذلك وارد عن السلف، ولعل هذا يُستأنس به في هذا الزمن المبارك إن شاءَ اللهُ؛ أن تتعدد الختمات، وأن يقف القلب أيضًا عند تدبر القرآن وتلاوة القرآن). [خطبة: استقبال شهر رمضان]

فأي أمنيةٍ ستتمناها؟ وأي حلم ستحلم به؟ أن يَحْصُلَ ولدُكَ على الطبِّ أمْ أن تَكْثُرَ تجارتك ومالك؟ أم أن يرتفع بيتك؟ أم أن يصح بدنك؟

لا وربي كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون:٩٩،١٠٠]، ستكون أمنيتك أنْ لو عُدْتَ [لتُسبِّحَ] تسبيحةً، ستكون أمنيتك أنْ لو عدتَ [لتَسْجُدَ للهِ] سجدةً، ستكون أمنيتك أنْ لو عدتَ [وجئتَ بـ] تمرة تتصدق بها، «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»(١).

(١) خطبة: استقبال شهر رمضان.

رَابِعًا:

رَمَضَانُ.. وَعِبَادَةُ الْوَقْتِ

(لهذا -وبصدقٍ- سَلْ ربَّكَ أنْ يُبلِّغكَ رمضان، وأنْ يُعينكَ فيه على الصلاة والصيام وتلاوة القرآن.

جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**كانَ النبيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ**».

النبي كان أجود الناس، النبي كان يأتيه السائل يسأله فلا يجد عند النبي شيئًا ﷺ -بأبي هو وأمي-، فيقول: «**خُذْ ما شئتَ ودينُكَ عليَّ**».

وجاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ تَرَكَ دَيْنًا فَعَلَيَّ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ**». وَرَثَتُهُ يقتسمون المالَ، أما إذا تركَ دينًا فعليَّ؛ يَسُدُّ النبيُّ ﷺ دَيْنَه، [فهو] جَوَادٌ ﷺ.

كان أجودَ الناس إذا جاء رمضان. قال ابنُ عباس: وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ -حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ- أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ.

وعلى هذا كان السلف؛ فكان مالك رَحِمَهُ اللَّهُ إذا أقبلَ رمضان، تركَ دروسَ العِلم، وأقبلَ على المصحف يقرأه. وكان ابنُ شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ إذا أقبلَ رمضان، أوقف دروسَ العلم، وقال: إنما هو تلاوةُ القرآن وإطعامُ الطعام.

عبادةُ الوقت!

السلفُ فقهاء، السلف يتعبدون اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عبادةَ الوقت؛ العبادةُ لها أحوالٌ ولها أزمان، قد تكون العبادةُ في نفسها فاضلةً لكنْ في زمنٍ معين تكون مفضولةً وتسبقها عبادةٌ أخرى.

ما رأيكم؟ أيهما أفضل: أن يقولَ العبدُ: سبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أم أن يقرأَ القرآن؟

قراءة القرآن في نفسها أفضلُ من التسبيح والتكبير، لكنْ إنْ كنا في السجود [هل] نقرأ القرآن؟!

[هل يَجُوزُ] إنْ فرغتَ من الصلاةِ [وقلتَ:] السلامُ عليكم ورحمة الله، السلامُ عليكم ورحمة الله، [أنْ تقرأَ عَقِب ذلك مباشَرةً:] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١، ٢]؟! الآيات.

[لا، إنما هو] التسبيحُ [والاستغفارُ]؛ أستغفرُ الله، أستغفر الله، أستغفر الله.. إلخ.

عبادةُ الوقت! وهذا من الفقه؛ عبادة الوقت.

فالصحابة وسلفُ الأمة.. عبادة الوقت في رمضان، ما هي؟

تلاوةُ القرآن، إطعامُ الطعام، القيام، هذه عبادةُ الوقت، ولهذا النبي ﷺ كان لا يعتكف ﷺ إلا في العَشْرِ الأخير من رمضان، إلا مرةً لَمَّا أرادَ أن يعتكف في العشر الأخير، اجتمعتْ نساؤه وأَرَدْنَ الاعتكافَ معه، فخرجَ فوجدَ الأخبيةَ،

وعَلِمَ أن وراء ذلك ما وراءه، فضم النبي ﷺ خلاءه وخرج من العَشْرِ وقضاهن في العشر الأُوَل من شوال) (١).

(١) محاضرة: فقه الصيام.

خَامِسًا:

الْجَنَّةُ وَالنَّارُ تَسْتَقْبِلَانِ رَمَضَانَ، فَأَيْنَ اسْتِقْبَالُكَ أَنْتَ؟!

(أيها الأحبةُ، هذا الشهر المبارك لا نقول: كان الصحابةُ وسلفُ الأمة وعلى رأسهم رسول الله ﷺ يتغير حالهم في هذا الشهر، بل إنك إذا تدبرتَ النصوص وجدتَ الكونَ كلَّه يتفاعل مع هذا الشهر!

أليس النبي ﷺ القائل -كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**»؟ وفي روايةٍ: «**وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**».

الجنةُ تستقبل رمضان! الجنةُ تستقبل العُبَّاد! الجنةُ تستقبل الطاعات! الجنة تفتح أبوابها؛ لأن كثيرًا من الطاعاتِ يَصْعَدُ (١)، والنارُ تغلق أبوابها؛ لأن كثيرًا من الناس ينصرف عن المعاصي إلى الطاعات؛ فها أنتَ ترى العاصي يَعُودُ إلى الله عَزَّوَجَلَّ في رمضان.

«**فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**»؛ [أي] سُلْسِلَتْ؛ فلا تصل الشياطين إلى ما كانت تصل إليه في غير رمضان.

---

(١) كذا بالمقطع الصوتي. ومقصدُ الشيخِ: أنَّ كثيرًا من الأعمالِ الصالحةِ تُرفَعُ إلى السماءِ؛ نظرًا لإقبالِ الناس على اللهِ في ذلك الشهرِ -شهرِ رمضان-.

وليس معنى ذلك أن الشياطين تُسلسَل سلسلةً حسيةً فلا يتحرك شيطانٌ من مكانه، لا ولكنها لا تصل إلى ما كانت تصل إليه في غير رمضان؛ لقد كانت وكانت وكانت والآن ردعَ الصيامُ الناسَ؛ فالذي كان يُعاكِس البناتِ يعطِي إجازة -هذا في الغالب-، والذي كان يشرب المخدرات على المقاهي على الأقل لا يشرب نهارًا، والذي كان يفعل كذا وكذا في رمضان يقول لك: لا، لا، أنا لا أفعل ذلك في رمضان، أما أستحي من الله؟!

فهكذا الجنة تفتح أبوابها، والنار تغلق أبوابها، والشياطين تُصفَّد؛ لاستقبال الطائعين في رمضان.. هذا هو الكون، هذا هو الكون يتفاعل مع رمضان، هذا الكون يتهيأ لرمضان.

أما عن النبي ﷺ وصحابته، أما عن سلفِ الأمة، فحدِّث ولا حرج، فهذه محطةٌ كان السلف يدعون اللهَ -كما ذكرَ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ستةَ أشهرٍ أن يبلِّغهم رمضان.

لِمَ؟

لِمَا فيه من الفضل، لِمَا فيه من الخير، لِمَا فيه من مضاعفة الأجور؛ إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لمْ يُطْلِعْ مَلَكًا مقرَّبًا ولا نبيًا مرسَلًا على أجر الصائمين، قال ﷺ -والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة-: «**قَالَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: **كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**».

«**إِنَّهُ لِي**»: لأن الصومَ سرٌّ بين العبد وربِّه، لهذا كان أجرُ الصوم سرًّا بين الربِّ والعبدِ، فلمْ يُطْلِعْ على ذلك مَلَكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا.

وقد جاء في الصحيحين أيضًا أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ صَامَ يَوْمًا وَاحِدًا اِبْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ، بَاعَدَ اللهُ بَيْنَ وَجْهِهِ وَبَيْنَ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**». فكيف بصيامِ رمضان؟!

فأجرُ الصيامِ أجرٌ عظيم) [١].

(١) محاضرة: فقه الصيام.

سَادِسًا:

كَيْفَ تَقْضِي يَوْمًا رَمَضَانِيًّا عَلَى وِفْقِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ؟

(أيها الأحبة: وقفةٌ من الليلة بورقةٍ وقلمٍ مع يومٍ رمضانيّ:

كما تقف سَنةً مع وظيفتك، جدولُ أعمالك معلوم معروف، لا أحد يفرِّط فيه؛ من الثامنة [صباحًا] إلى الثانية [ظهرًا]، كلٌّ قد رتَّب عمله، لكن هذا الشهر سيمر فكيف تقضي يومًا رمضانيًا على وِفْقِ ما يحبه الله ويرضاه، وتكون في ذلك مستغلًّا كلَّ لحظة فيه؟

نحن لا نقول: عطِّلوا العمل، فذاك أمرٌ ليس بمستطاعنا ولو كنا نقدر لفعلنا، ولكن نقول: لابد أن تضع برنامجًا، هذا البرنامج يكون في غاية القوة والحرص.

من ذلك مثلًا -وإن كنتُ لا أفرضُ هذا البرنامج، بل أقول: كلُّ واحدٍ يضع البرنامج الذي يناسبه ولكن لابد أن يكون في إطار الاجتهاد والجد-، مثلًا قم قبلَ الفجر، فصلِّ ما شاء الله لك أن تصلي، ولو كنتَ قد أوترتَ مع الإمام فإن النبي ﷺ نهى عن وترين في ليلة، لكن لم ينهَ ﷺ عن إيقاعِ صلاة بعد الوترِ، ولكن نهى النبي ﷺ عن وترين في ليلة، واستحب النبي ﷺ أن تكون آخر صلاة العبد وترًا، لكن لا مانع إذا قمتَ من الليل أن تصلي ما شاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لكَ أن تصلي؛ صلِّ ركعتين أو صلِّ أربعًا، ثم آخِّر السحور إنْ استطعتَ إلى قبيل

الفجر بقليل، ولا تلتفت إلى مدفع الإمساك الذي يُضرب الآن وسنبين ذلك -إن شاء الله- في أحكام الصيام.

ثم صلِّ الفجر، وبكِّر، واحرص على الصف الأول في الصلاة بعد أداء ركعتي الفجر، حتى إذا فرغتَ من الصلاة فلا تسارع بالخروج من المسجد حتى تقولَ أذكار الصباح، فإن بعض الناس يتعجل في صلاة الفجر ومن ثم في الأذكار ويعود ليبدأ نائمًا بعد الصلاة مباشرةً.

أين أذكار الصباح؟! وفيها من الخير الكثير، هذا وإن كانت في كل صباح لكنها في نهار رمضان آكد وأحرى؛ لأن العمل يُضاعف أجره -إن شاء الله-.

فإنْ استطعتَ أن تجلس إلى الشروق فشيءٌ طيِّبٌ مُبارَك، ثم إذا ارتفعت الشمس قِيد رمحٍ؛ يعني ربع ساعة، فصلِّ ركعتين، قال ﷺ -والحديث عند الترمذي بسندٍ حسن، وإن كان بعضُ أهلِ العِلم ضعَّفه لكن له طرقٌ يحسن بها، وقد حسَّنه الشيخُ العلَّامة أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصححه شيخنا أيضًا الشيخ ابن باز-: «**أَنَّهُ إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ الفَجْرَ ثُمَّ جَلَسَ يَذْكُرُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّتَيْنِ تَامَّتَيْنِ تَامَّتَيْنِ**».

ثم بعد ذلك -إنْ كان عندك قدرة وتبقى في المسجد- تقرأُ وِردَكَ، ولا يَقِلُّ وِردُك في اليوم عن ثلاثة أجزاء، أقل عدد في الختمات ختمة في العشر الأوائل ثم تليها ختمة في العشر الأواسط ثم ختمتان في العشر الأخير، هذا أقل شيء.

ونحن لا نقول: حرام أو حلال، إنما نقول: هذا شأن المجتهدين، وإلا فمن السلف الصالح مَن كان يختم كل ثلاثة أيام حتى إذا أقبلتِ العشرُ ختمَ كلَّ يوم،

ومنهم مَن كان يختم كل ليلة، فإن هذا هو شهر القرآن، فإذن أقل شيء ثلاثة أجزاء.

ثم بعد ذلك تعود إلى بيتك، مارسْ عملك، تنام، تستريح، حتى إذا جئتَ بعد صلاة العصر اجعل ما بين العصر إلى المغرب -إن لم يكن عندك عملٌ- لقراءة القرآن.

ثم قبيل المغرب بنصف ساعة احرص على الدعاء؛ فإن الدعاة عبادة جليلة لا يقل قدرها ولا نفعها عن تلاوةِ القرآن، واحرص على أن تستحضر قلبك وعلى أن تركِّز في دعائك فإن قبول الدعاء على قدر استحضار القلب، وما تعبَّد العابدون بأفضل من الدعاء، ولهذا كان الدعاء هو العبادة كما قال ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»، وهذا الحديثُ الصحيح، وأما الدعاءُ مخُّ العبادة ففيه ضعفٌ، فاحرص على الدعاء قبل صلاة المغرب بنصف ساعة.

ثم احرص أيضًا على أن تفطِّر صائمًا على حسب طريقتك، واللهِ تتعاهد مساكين فقراء، تبعث إليهم، أو معك تمرٌ تجعله في المسجد يُفطِر عليه الصائمون، لا بأس، أو تقف على طريقٍ مثلًا وقت الأذان إذا كانت تمر السيارات.

المُهِمُّ احرصْ على أنْ تُفطِّر صائمًا؛ إمَّا بنفسك، إمَّا عن طريق وضعِ تمرٍ في المسجد، إما عن طريق إعطاء مثلًا المساجد التي تفطِّر الصائمين، المهم أن يكون لك أجرٌ في تفطير الصائم؛ فإن هذا أجرٌ عظيم.

حتى إذا صليتَ المغرب -بعد الفطر على التمرات- تَعُودُ إلى بيتك فتصلي سُنة المغرب في بيتكَ -إن كنتَ حازمًا قادرًا على إيقاعها في البيت بلا نسيان وإلا فصلِّها في المسجد-.

تناولْ طعامًا خفيفًا؛ حتى تستطيعَ أن تصلي التراويحَ بخشوعٍ؛ لأنَّ المعدةَ إذا امتلأتْ أدتْ إلى التخمة، وبالتالي قلة التركيز.

حتى إذا كان قبل العشاء بربع ساعة، انطلقْ أنتَ وأبناؤك وزوجتك إلى مسجدٍ تجدُ فيه تحقيقَ السُّنة.. الصلاة بجزء من القرآن، حاولْ [أنْ] تبحثَ عن الإمام صاحبَ الصوتِ الحَسَن -قدر الإمكان-؛ حتى يحرِّك قلبك إلى القرآن.

فإذا صليتَ صلاة التراويح، إنْ بقي من وِرْدِكَ شيءٌ فاقرأه، وإن لمْ يبقَ شيء فإنْ بقيتَ مع أهلك وقتًا قليلًا، ثم تنام لتبدأَ يومًا جديدًا) [1].

(١) محاضرة: وقفات بين يدي رمضان.

سَابِعًا:

لَابُدَّ أَنْ نَتَعَلَّمَ أَحْكَامَ الصِّيَامِ

(أيها الأحبةُ، ومن الوقفات المهمة في شهر رمضان أننا لابد أن نتعلم أحكامَه، فلقد تعوّدنا من النبي ﷺ ألا نعبدَ اللهَ إلا على وفق ما تعبّد رسول الله ﷺ.

إن النبي في حديث سهل بن سعد الساعدي يصعد منبره فيصلي بالناس ثم يقول: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**».

وإن النبي كما جاء في حديث جابر يحج بأصحابه، ثم يقول: «**لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُم**».

وإننا في هذه الفريضة لابد أن نتعلم أحكامَ الصيام؛ حتى -أيضًا- نصومَ على وفق ما صام النبي ﷺ؛ فإن العمل يُقبل بشرطين: الإخلاص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والمتابعة لرسول الله ﷺ) [1].

---

(١) محاضرة: فقه الصيام.

الفَصْلُ الثَّاني

رَمَضانُ وقفاتٌ وتأمُّلاتٌ

الوقفة الأولـــى

[فقـــه الصيـــــام]

أَوَّلًا:

تَعْرِيفُ الصِّيَامِ، وَهَلْ يَلْزَمُ لِصَوْمِ رَمَضَانَ تَبْيِيتُ النِّيَةِ أَمْ لَا؟

(**الصيامُ لغةً**: هو الإمساكُ.

وشَرْعًا: هو الإمساكُ بنيةٍ عن المُفطِّرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس. فهو إمساكٌ مخصوص عن شيءٍ مخصوص في زمنٍ مخصوص.

الإمساكُ بنيةٍ: فلو أنَّ الإنسان أمسكَ عن الطعام والشراب وسائرِ المفطرات من غير نيةٍ، فإنه لا يكون صائمًا.

رجلٌ به مرضٌ، به عِلَّةٌ، فلمْ يأكل يومًا ولا يومين ولا ثلاثة، فهذا لا يُعدُّ صائمًا؛ لأن المانعَ له عن الطعام والشراب والذي تسببَ في هذا الإمساكِ ليس هو نية الصيام.. التعبُّد لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وإنما عِلَّة، فلا يصح أو لا يُعتبر الإمساكُ في هذا وأنه صيامٌ، بل لابد أن يكون بنيةٍ؛ وهي التعبد لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بهذا الإمساكِ، يقصد الإنسانُ بهذا الإمساكِ التعبد لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بإحداثِ هذا الصيام، وهذا إشارةٌ إلى أن النيةَ مُعتبَرةٌ في الصيام.

والصومُ الذي يصومه الإنسان باعتبار النية من جهةِ تبييتها وعدم تبييتها، قسمانِ:

صيامُ فرضٍ: وهذا يَلْزَمُ له تبييتُ النية من الليل، فإذا عَلِمَ الإنسان أن غدًا سيكونُ رمضان أو أراد الإنسان أن يصومَ صومَ نذرٍ أو صومَ كفّارة، هذه كلها من أنواع الصيام الواجب.

رمضان، صوم النذر، الكفارة، هذا كله من الصيام الواجب، فلابد من تبييت النية بالليل، فإذا لمْ يبيِّت النية بالليل فلا يصحُّ صومُه، وصومُه باطلٌ لو أنشأَ النية من أول النهارِ، ولو بعد الفجر بنصف ساعة أو بربع ساعة نوَى فإنَّ هذا لا يجزئه، إذا طلعَ الفجرُ ولمْ ينوِ فإنه لا يصح صومه؛ لأنه لابد له من تبييت النية بالليل -في الصيامِ الواجب-.

لكنْ إذا لمْ يَعْلَمْ وبلغَ عِلْمُه في أثناء النهار -صباحًا مثلًا-، هذا الرجل لمْ يَعْلَمْ أن غدًا رمضان ونامَ؛ نامَ من المغربِ، وتناقلَ الناسُ رؤيةَ هلال شهر رمضان ليلًا وهو لا يَعْلَمُ، فلما أصبحَ قال الناسُ له: إن اليوم هو اليوم الأول من رمضان.

هذا الرجل لمْ يبيِّت النية بالليل، فهل يمسك الآن ثم يقضي بعد ذلك، أو يمسك ولا يقضي ويصح صومه واعتبار هذا اليوم من رمضان؟

[الجوابُ:] خلافٌ بين أهل العلم، والذي يترجح أن هذا الرجل طالما أنه لمْ يَثْبُتْ تفريطٌ منه في ذلك فإنَّ صيامَه صحيحٌ؛ لأن النيةَ تَتْبَعُ العِلمَ -على الصحيح-، وهذا اختيارُ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ أن النية تتبع العلمَ،

فإذا علمَ ثم نوى بعد هذا العلم فإن صيامه صحيح؛ لأن الرجل لم يَعلم من قبل، فلما علمَ ثم نوى الصيام صح صومه، وهذا القول هو الصحيح من أقوال أهل العلم.

أمَّا صومُ النافلة -وهذا النوع الثاني- أو صيام التطوع: فهل يلزم له تبيت النية من الليل أم لا؟

الجوابُ: لا يلزم تبييت النية من الليل، بل لو أنشأَ الصيام أثناء النهار وقبل الزوال فإن صومه صحيح، ويدل على ذلك ما جاءَ أن النبي ﷺ كان يقول لأهله: «**هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟**» طعام، فإذا كان عندهم قدَّموا له، وإلا قال: «**فَإِنِّي صَائِمٌ**».

فدلَّ هذا على أن صومَ التطوع لا يَلزم له النية من الليل، بل يجوز إنشاءُ النية من أثناء النهار.

إذًا الصومُ الواجبُ بخلاف الصوم المستحب، أما الواجب فيلزم له تبييتُ النية بالليل، من رمضان ومن غير رمضان؛ من الكفارات والنذور، إلا إذا لم يَعلم الإنسان بدخول شهر رمضان إلا في أثناء النهار، فهذا لو علمَ صباحًا ثم أمسكَ وواصل اليوم فإن الصحيح من أقوال أهل العلم أنه يُعتبر صومُه ويصح صومه وأن النية تتبع العلمَ.

لكن [صوم] الكفارة لابد من التبييت بالليل، و[صوم] النذر لابد من التبييت بالليل، فلو أن إنسانًا قال -مثلًا- لَمَّا أصبح: سأصوم اليوم من كفارة

اليمين، أو سأصوم اليوم من النذر الذي عليَّ، أو تقول المرأة: سأصوم اليوم من أيام رمضان التي لم أصمها، نقولُ: هذا لا يصحُّ.

أمَّا رمضان فإن الإنسان إذا علم به أثناء النهار فإنه يُتِمُّ صومَه، ويصح صومُه ولا يُلزمُ بالقضاءِ. هذا هو المعتبر في مسألة النية.

إذًا صومُ رمضان.. الصومُ هو التعبد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا إشارة للنية؛ التعبد لله، أو الإمساكُ بنيةٍ عن الطعام وعن الشراب وعن سائر المفطِّرات.

مِنْ طلوع الفجر الصادق: هذا هو الحد الأول لليوم الذي يتعيَّن صوُمه، إلى غروبِ الشمس؛ «**إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ -كما قال ﷺ- مِنْ هَاهُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هاهُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**» -أو كما قال ﷺ-.

إذًا عندنا وقتٌ مخصوص؛ وهو طلوع الفجر الصادق.

طلوع الفجر الصادق يَخْرُجُ به ما قبل هذا الفجر مما يُؤذِّن له المؤذن؛ ليُوقِظَ الناس وليُرْجِعَ القائم حينما يَكُون ضوءٌ في الأفق لكنْ ليس ضوءَ الصبح الصادق، ودليلُ ذلك قولُه ﷺ في الصحيحين: «**إِنَّ بِلَالًا يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ**». وفي روايةٍ: «**لِيُرْجِعَ قَائِمُكُمْ، وَيُوقَظَ نَائِمُكُمْ**».

فدلَّ هذا على أن الإمساك لا يَحْصُلُ بهذا الأذان الأول، إنما الإمساك يحصل بطلوع الفجر الصادق.

وعليه فما يجري عليه الناس اليوم من الإمساك عن الطعام والشراب قبل دخول الوقت بما يسمونه مدفعَ الإمساك، إذا جاء مدفعُ الإمساك فإنهم يُمْسِكُون،

والعوامُ تعظِّم هذا جيدًا تعظيمهم للأدب، كما لو أذَّنَ المؤذن لصلاة الفجر، ولعل الرجل منهم يقومُ عطشانًا أو جوعانًا فيجد هذا المدفع وقد ضرب -كما يقولون- فيُمْسِك، ولا يترخص أبدًا في شيء.

وهذا من البدع، نعم هذا من البدع؛ لأنه إحداثٌ في الدين، إحداثُ إمساك بغير الأذان، هذا بدعة؛ لأن الناس لا يُلزَمون إلا بما يُلزِم به الشرع، أما إذا لمْ يُلزِم الشرع بشيء لا نُلزِمُ الناس به أبدًا.

وفي المقابل يؤجِّل العَوَامُ الإفطارَ إلى ما بعد فراغ الأذان، إذا أذَّن المؤذن يقول لك: إياك أن تأكل أو تشرب حتى يَفْرَغَ من الأذان، لا تستعجل، أو يقولون -بعضُ الناس يقولون-: حتى يتشهد.

حتى يتشهدَ أو إذا فرغَ من الأذان، مَن الذي قال هذا؟! والنبي ﷺ يقول: «**إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هاهُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**»، لم يقل: انتظروا التشهد، ولم يقل: حتى يفرغَ المؤذن من الأذان، ما قال ذلك.

بل الذي وردَ في الأحاديث الصحيحة -ثبتَ عنه ﷺ- أنه قال: «**لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ، مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ**»، «**لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ**».

تعجيلُ الفطرِ سُنَّة، فإذا أذَّن المؤذن إذًا دخلَ الوقتُ، مباشرةً، فيُشرَع للإنسان الإفطار ويُستحب للإنسان أن يفطر بمجرد الأذان) [1].

---

(١) شرحُ كتابِ الصيام من كتابِ (عمدة الفقه) لمُوفَّق الدين بن قُدامَة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثَانِيًا:

حُكْمُ الوِصَالِ، وَفَوائِدُ تَعْجِيلِ الفِطْرِ

(تَرِدُ هنا مسألةٌ، وهي مسألةُ الوِصَالِ؛ أنْ يُواصِلَ الصيامَ يومًا ويومين أو ثلاثة، فهل هذا الوصالُ مشروعٌ أم لا؟

اختلفَ أهل العلم في ذلك؛ فمنهم مَن قال: يحرم الوصال، ومنهم مَن قال: يُكره، ومنهم مَن قال: يُستحب الوصال.. ولكلٍّ وِجْهَةٌ.

وبالنظرِ إلى الأدلة، نجد أن أحاديث الوصال اختلفتْ؛ فتارةً يُشدِّدُ النبي ﷺ وينهَى، ويقول: «**إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ**»؛ لستُ مثلكم «**إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي فَيُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي**».

يعني أن النبي له حالٌ يختلف عن الناس، هل يَبِيتُ عند ربه بياتًا حقيقيًا فيطعمه ويسقيه طعامًا حقيقيًا وشربًا حقيقيًا؟

الجوابُ: لا، لكن النبي ﷺ (...)[1]، ويُعانُ من قِبَلِ ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتَحْصُلَ له القوة التي تحصل لمَن أكلَ أو شربَ.

وإلا لو كان النبي يأكل أو يشرب أكلًا حقيقيًا أو شربًا حقيقيًا لمَا كان مواصلًا، يُسمى هذا وصال؟ ما يُسمى هذا وصال، لو كان يأكلُ أكلًا حقيقيًا أو يشرب شربًا حقيقيًا ما يُسمى وِصَالًا، ما يُسمى مواصِلًا، لكنه يُعان.

---

(١) كلمة غير مفهومة.

وهذا أمرٌ مُشاهَد، أنتَ الآن إذا جاءَك خبرٌ يسعدك سعادةً بالغةً قد تنسى الطعام والشراب أيامًا، أو العكس؛ إذا جاءك خبرٌ يحزنك أو حصلَ لك شيءٌ يحزنك فقد تبقى أيامًا لا تأكل، هذا مُجرَّبٌ، هذا مجرب عند الناس.

فإذًا النبي ﷺ نهى، وقال: «**إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ**»، هذا النهي للتحريم أم للكراهة؟

قولانِ لأهل العلم، والذي يترجح أن الوصالَ إذا كان بالأيام فإن أقلَّ أحواله الكراهة، ولولا حديثٌ وردَ في الصحيح أن النبي ﷺ واصلَ بأصحابه في هذا الشهر حتى جاءَ هلالُ شوال، فعلَ بهم ذلك كالمُنكِّلِ لهم، لقلنا بالتحريم جزمًا، وإلا لو كان حرامًا على الجزم والقطع لَمَا أَذِنَ لهم النبي ﷺ بالوصال معه، ولَمَا واصلَ بهم ﷺ.

لكنَّ مواصلةَ النبيِّ ﷺ بهم... (١)؛ لأنَّ النبيَّ لا يفعلُ بأصحابهِ الحَرامَ ﷺ.

إذًا إذا كانَ الإنسانُ سيواصلُ اليومين والثلاثة فإنَّ أقلَّ أحوالِه الكراهةُ، أما إذا كان سيواصل للسَّحَر فهذا وَرَدَ الدليلُ به أنه «**مَنْ كَانَ مُوَاصِلًا، فَلْيُوَاصِلْ لِلسَّحَرِ**» -أو كما قال ﷺ-، وكان بعضُ الصحابةِ يواصلُ إلى السَّحَر.

وهذا حُكْمُه أنه جائزٌ. لا نقولُ: مُستحَب، لكنْ نقول: إنه جائز.

---

(١) جملة غير مفهومة.

أمَّا السُّنة فمَن أرادها فليأخذْ بقول النبي ﷺ: «**لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ، مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ**»، هذه هي السُّنة -الحمد لله- (١).

إذًا أصبحَ الناسُ عند الأذان ثلاثةَ أقسام:

قسمٌ يفطر مع الأذان، وهذا الذي يُوافِق السُّنة.

وقسمٌ يواصل إلى السَّحَرِ، وهذا جائزٌ.

وقسمٌ يواصِلُ اليومَ واليومين، وهذا اختلفَ فيه أهلُ العِلمِ بين التحريمِ والكراهةِ، والذي يترجح أنه مكروهٌ) (٢).

---

(١) (إنَّ تعجيلَ الفطرِ يجمع بين أمرين عظيمين:

الأمرُ الأول: موافقةُ السُّنةِ؛ فتعجيلُ الفطر فيه الأجر والثواب، وفيه إظهارُ الدِّين وأنَّ المسلمين يَصِلُون إلى عِزَّتهم، مع الأذان يُفطِرون وقبلَ ذلك بدقيقةٍ واحدةٍ لو أعطيته طعامًا أو شرابًا وقدّمتَ له ما قدّمتَ من المال لرفضَ ذلك بشدةٍ، لكن حينما يقول المؤذن: اللهُ أكبر تجدُ الأيادي وقد امتدت، هذا ظهورٌ للدين.

[الأمرُ الثاني:] وفيه أيضًا أنه أرفقُ بالإنسانِ؛ لأنه أرفقُ بالإنسان أنْ يأكلَ معَ الأذانِ أو أنْ يُؤَخِّرَ؟ الأرفقُ بالإنسان أن يأكل مع الأذان ولا يُؤَخِّرُ.

إذًا تعجيلُ الفطرِ فيه فوائد: الأولى: موافقة السُّنة، وفيها إظهارٌ للدِّين. والثانية: أنه الأرفقُ بالإنسان). [شرحُ كتابِ الصِّيام من كتابِ (عُمْدَة الفِقْه) لمُوفَّق الدين بن قُدامَة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ].

(٢) شرحُ كتابِ الصيام من كتابِ (عمدة الفقه) لموفق الدين بن قدامة المقدسي -.

ثَالِثًا:
حُكْمُ صَوْمِ رَمَضَانَ

(ما حُكْمُ الصيامِ؟
وَاجِبٌ، رُكْنٌ من أركانِ الإسلامِ) (١).

(١) محاضرة: فقهُ الصيامِ.

رَابِعًا:

أَنْوَاعُ الصِّيَامِ، وَبَيَانُ أَنَّهُ تَدُورُ عَلَيْهِ الأَحْكَامُ الخَمْسَةُ

(والصيامُ -بصفةٍ عامةٍ- قال الشيخُ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تدورُ عليه الأحكامُ الخمسة.

فأولًا: هناك صيامٌ واجبٌ:

وهو صيامُ رمضان وما وجبَ على الإنسان بسببٍ منه؛ كصومِ النَّذْرِ وصومِ الكفارات، هذا عنده كفارة ظِهار، وهذا عنده كفارة يمين، وهذا عنده كذا وكذا، فيجب عليكَ أنْ تَصُم، هذا الصيامُ الواجِب.

وتارةً يكُون الصيامُ محرَّمًا:

عبادة تكُون حرامًا؟!

نعم، تكُون حرامًا.

كيف هذا؟!

إذا لمْ توافقِ الشرعَ؛ فمَن صامَ العيدين كان صومُه حرامًا، [نعم هو] يتقرب إلى الله ولكنْ بالحرام.

و[كذلك] مَن صامَ أيامَ التشريقِ.. ما هي أيامُ التشريق؟

الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، إلا لَمن لمْ يجدِ الهَدْي، فمَن لمْ يجد الهدي وليس عنده ثمنُ الهدي فإنه يصومُ، يصومُ قبل اليوم العاشر، لكنْ إنْ عجزَ عن الصيامِ أو فاته الصيامُ قبل العيد فإنه يصومُ الحادي عشر والثاني عشر

والثالث عشر، على ما جاء في صحيح البخاري من حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، هذا الصيامُ الحق.

فما حُكْمُ الصيامِ يومَ مولدِ النبي ﷺ؟

صيامٌ مُحرَّمٌ؛ لأنه تخصيصٌ لِمَا لَمْ يُخصصه النبيُّ.

ما حُكْمُ الصيامِ يوم الخامس عشر من شعبان؟

صيامٌ مُحرَّمٌ.

ما حُكْمُ الصيامِ يومَ السابع والعشرين من رجب؟

صيامٌ مُحرَّمٌ، هذا بدعةٌ؛ لأنه لَمْ يَرِدْ في الشرع التنصيصُ عليه.

وتارةً يكون الصيامُ مُستحبًّا:

كصيام التطوع، والنفلِ الذي جاء في الشرع.

[ما حُكْمُ] صيام [يومي] الاثنين والخميس؟

مُسْتَحَبٌ.

[ما حُكْمُ] صيام [يوم] عاشوراء؟

مُسْتَحَبٌ.

[ما حُكْمُ] صيام [يوم] عرفة؟

مُسْتَحَبٌ.

[ما حُكْمُ] صيام ثلاثة أيام من كل شهر؟

مُسْتَحَبٌ.

[ما حُكْمُ] صيام الأيام البيض؟

مُسْتَحَبٌ.

[ما حُكْمُ] صيام [شهر] المحرَّم كله؟

مُسْتَحَبٌ.

[ما حُكْمُ] صيام [شهر] شعبان إلا قليلًا أو كله؟

مُسْتَحَبٌ.

كلُّ هذا من الصوم المستحب الذي وردَ في الشرع.

[ما حُكْمُ] صيام يوم وتُفْطِر يومًا؟

صيامٌ مُسْتَحَبٌ.

الرابعُ: صيامٌ مكروهٌ:

مثل صيام المسافر مع المشقة الشديدة، [ومثل] إفراد الجمعة بالصوم إلا أنْ تصومَ يومًا قبله -قبل الجمعة- أو يومًا بعده، أما إفرادُ الجمعةِ فمكروهٌ.

الخامس: صيامٌ جائزٌ:

وهو صيام المسافر، أو صيام المريض إذا لمْ يجدْ مشقةً، أو صيام يوم غير هذه الأيام التي نهى الشارع عنها أو استحبها الشارع؛ [كـ] صيام الثلاثاء، صيام الأربعاء.. صيامٌ جائزٌ.

إذًا الصومُ تجري عليه الأحكامُ الخمسةُ؛ فتارةً يكون واجبًا كرمضان والكفارات والنذور، وتارةً يكون مستحبًا كالاثنين والخميس وغيره، وتارةً يكون مكروهًا كصيام مَن صام في السفر وهو يشق عليه مشقةً بالغة أو إفراد الجمعة،

وتارةً يكون محرّمًا كصيام العيدين، وتارةً يكون جائزًا كصيام الأيام التي لَمْ يَرِدْ فيها نصٌّ بالاستحباب أو نصٌّ بالتحريم. هذا عن حُكْمِ الصيامِ عمومًا) [١].

(١) محاضرة: فقه الصيام.

خَامِسًا:

بِمَ يَجِبُ صِيَامُ رَمَضَانَ؟

(اعلموا أن الصيامَ إنما يجب برؤية هلالِ رمضانَ أو بتمامِ عِدَّة شعبان ثلاثين يومًا، قال ﷺ: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِذَا غُمِّيَ عَلَيْكُمْ -أو غُبِّيَ عَلَيْكُمْ-، فَأَتِمُّوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا**».

وقد ثبتَ بالرؤية أن اليوم هو المتمم لشهر شعبان، إذن غدًا رمضان بيقين إن شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومن أصبح اليوم صائمًا لأن من عادته الصوم فكان يصوم شعبان كله أو كان يصوم شعبان إلا قليلًا أو كان يصوم في شعبان يومًا ويفطر يومًا، فلا حرجَ على مَن كان صائمًا اليوم.

أمَّا قولُه ﷺ الذي وردَ في الصحيحين: «**لَا تَقَدَّمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلَا يَوْمَيْنِ**»، فإن النبي ﷺ أتمه فقال: «**إِلَّا إِذَا كَانَ صَوْمًا يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ، فَلْيَصُمْ صَوْمَهُ**».

وإنما النهي على مَن صام هذا اليوم شاكًّا فقط؛ أن يكون من رمضان أو ليس من رمضان، أو يكونوا قد اعتمدوا كذا أو كذا، أو أخطأوا أو أصابوا، فمَن صام اليوم على أنه شاكٌّ في ذلك هو من رمضان أم لا، فقد عصى أبا القاسم، وليفطر عقب الجمعة مباشرةً) (١).

---

(١) خطبة: استقبال شهر رمضان.

(فإذا رأينا هلالَ رمضان وجب علينا الصومُ، والنبي ﷺ علَّق وجوبَ الصومِ على الرؤيةِ، فقال: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ**».

ولقد كان النبيُّ والصحابة يتحرون الهلالَ -هلالَ رمضان- فإذا رآه عدلان -أو عدلٌ واحدٌ- وجب على الناس الصومُ؛ كما جاء في الصحيح أن ابنَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأى الهلال على عَهْدِ رسول الله ﷺ، فأَخبرَ النبيَّ، فأمرَ النبيُّ ﷺ بالصيامِ.

وأما الفطر من رمضان فيلزم له شاهدان؛ لأن النبي ﷺ، قال: «**إِذَا شَهِدَ شَاهِدَانِ فَصُومُوا وَأَفْطِرُوا**».

أما الصوم فوردَ في الشرع النصُّ على إجزاء رؤية واحدٍ، وبقي الفطر على ما هو عليه من ضرورة شاهدي عدلٍ.

ولأن الناس لا يُتهمون في دخول رمضان، أما في الخروج فممكن، الناس مَلَّتْ! فممكن واحد ينظر يقول: أنا رأيتُ الهلال، هيَّا! إنما في الدخول الغالب لمَّا واحد يقول: رأيتُ الهلال، فأكيد رأى الهلالَ، ولورود النصِّ بذلك) [1].

---

(١) محاضرة: فقه الصيام.

سَادِسًا:

حُكْمُ صِيَامِ يَوْمِ الشَّكِّ

(كذلك يجب صيام رمضان بإتمام شعبان ثلاثين يومًا، قال ﷺ: «**فَإِنْ غُمَّى عَلَيْكُمْ -أَوْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ- فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاثِينَ يَوْمًا**».

وفي روايةٍ: «**فَاقْدِرُوا لَهُ**»، وهي المفصَّلة في الرواية الأخرى: «**فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاثِينَ يَوْمًا**».

إذًا نحن نكمل عدة شعبان ثلاثين يومًا إذا حال بيننا وبين الهلالِ غَيْمٌ أو قَطَرٌ، إذا لمْ نرَ الهلالَ فإننا نتم عدة شعبان، وعليه فلا يجوز صيامُ يوم الشك، إذا حال بيننا وبين الهلال غيمٌ أو قطر.

فلا يقولن قائلٌ: أصومُ هذا اليومَ احتياطًا! فلعله من رمضان.

نقول: لا، الأمر يسعك، والنبي ﷺ رخَّص لكَ، ولابد أن يتسعَ صدرُكَ لما جاء عن النبي ﷺ: «**فَإِذَا غُمَّى عَلَيْكُمْ -أَوْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ- فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاثِينَ يَوْمًا**».

ولهذا يُنهى عن صيامِ يوم الشك)[1].

---

(١) محاضرة: فقه الصيام.

سَابِعًا:

عَلَى مَنْ يَجِبُ صِيَامُ رَمَضَانَ؟

(اعلموا أن صيامَ رمضان يجب على كلِّ: مُسْلِمٍ، عاقلٍ، بالغٍ، مُقِيمٍ، قادِرٍ، سالمٍ من الموانع. هذه سِتَّةُ أُمُورٌ.

يجب صومُ رمضان على كل مُسْلِمٍ؛ فلا يجب الصيام على الكافر وإن خُوطب به؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يَقْبَلُ من كافرٍ صَرْفًا ولا عَدْلًا (١).

ثانيًا: العاقل؛ فلا يجب الصيام على المجنون، فمَن كان مجنونًا فلا يجب عليه الصيام؛ لأن الصيامَ عملٌ، والعملُ هذا لابد له من نية، والمجنون ليس له نية (٢).

[حُكْمُ الشيخِ الذي بَلَغَ مَبْلَغًا عظيمًا مِنَ الهَذَيَان، أو ذَهَبَ عقلُه]

وهنا مسألة يحتاج إليها كثيرٌ من الناس؛ ألا وهي: قد تُبتلى أو قد يكون عندك أمٌّ كبيرة السن أو والدٌ كبير السن، لمْ يَعُدْ يعي شيئًا إلا القليل، فتارةً يعقلُ وتارةً لا يعقلُ.

فنقولُ -بارك الله فيك-: لا يجب عليه الصيامُ.

---

(١) (ومَن أسلمَ في أثناء اليوم فإنه يجب عليه أن يمسك وليتم صومه، وصيامُه مقبول -إن شاء الله تعالى- على الصحيح من قولي أهل العلم). اهـ [خطبة: استقبال شهر رمضان].

(٢) (ومَن أفاق أثناء النهار وعقلَ من جنونه فإنه يجب عليه أن يمسك وأن يتم صومَه، وصومُه صحيح). اهـ [خطبة: استقبال شهر رمضان].

وهل تُطْعِمُ عنه كل يومٍ مسكينًا، أو هل تقضي عنه هذه الأيام؟

الجوابُ: لا صيامَ ولا إطعامَ؛ لأن حُكمَه حكمُ المجنون، ومَن كان مجنونًا لم يكن مكلَّفًا، وإنما التكليف على مَن عقلَ وعجزَ عن الصيام.

انتبهوا هذا كبيرُ السن الذي بلغَ مبلغًا عظيمًا من الهذيان فلم يعد يعي شيئًا إلا القليل، فهذا لا يُصام عنه ولا يُطعم عنه.

فإنْ قلتَ: الشيخُ الكبير، كيف لا يُطعَم عنه؟!

[أقولُ:] هذا سيأتينا -إن شاء الله- في أن الشيخ الكبير الذي معه عقلٌ هو الذي يُطعَم عنه كل يوم مسكينًا، أمَّا الذي ذهبَ عقلُه فحُكمُه حكمُ المجنون، ومَن كان مجنونًا رُفع عنه التكليف، فلا صيامَ ولا إطعام.

كذلك يجب الصيام على البالغِ (١)؛ فمَن لم يبلغ فلا يجب عليه الصيام، لكنّ السُّنةَ أننا نعوِّد الصغارَ على الصيامِ، فمتى ما قدرَ الصغيرُ وطاقَ الصيامَ عوَّدناه على الصيام، كما كان حالُ أصحاب النبي ﷺ.

---

(١) (واعلموا أنَّ البلوغَ إنما يكون بعلاماتٍ ثلاث يشترك فيها الرجال والنساء: بلوغُ خمس عشرة سَنَة، وإنباتُ الشَّعر الخشن أيضًا حول القُبُل، وكذلك الاحتلام.

هذه ثلاثُ علاماتٍ يشترك فيها الرجال والنساء، فإذا بلغَ الولدُ خمسَ عشرة سَنة، تَمَّ له خمسُ عشرة سَنة، فإنه يكون بالغًا وكذلك البنت، إذا نبتَ الشَّعر الخشن حول القُبُل يكون بذلك بالغًا، كذلك إذا احتلمَ الولد -أو البنت- يكون بالغًا.

=

[حُكْمُ صِيَامِ الصَّغِير، وهلْ يَصِحُّ صَوْمُه أَمْ لا؟]

فالصيامُ يُقبل من الصغير، ويُدرَّب الصغيرُ على الصيام لكن متى قدرَ عليه، فإذا لم يقدر عليه فلا تُكلِّف الولدَ ما لا طاقة له به.

عندَكَ ولدٌ عنده خمس سنوات، لا يصوم ولا تأمره بالصيامِ، أما إذا بلغَ سبع سنين وكان قادرًا فليصم، فإن لم يكن قادرًا فعند التاسعة فليصم، وهكذا فمتى قدر على الصيام فإنه يَصومُ.

لأنه قد وردَ أن الربيع بنت معوذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: كان إذا كان يوم عاشوراء صوَّمنا الصغارَ، فإذا بكى أحدُهم أعطيناه اللعبةَ من العِهْنِ يتلهَّى بها حتى يؤذن المغرب.

إذًا لا يجب الصيام على الصغير، لكن يصح الصيام من الصغير [١].

وتنفرد المرأةُ بعلامةٍ خاصة؛ ألا وهي نزولُ دمِ الحيض، فمتى نزلَ دمُ الحيض كانت امرأةً يجب عليها الصيامُ، ولو نزلَ عليها دم الحيض عند سِنِّ العاشرة تكون بالغة، وليس باللازم أن تَبْلُغَ الخمس عشرة سنة، ولكن إذا نزل عليها الدم عند العاشرة وجبَ عليها الصوم). اهـ [خطبة: استقبال شهر رمضان].

(١) (فإذا بلغَ -[أي: الصغير]- في أثناء اليوم أو قبل الصيام، فبلغَ خمس عشرة سنة، أو أمنى بالليل، وجبَ عليه صيامُ هذا اليوم، لكن لو احتلم أيضًا في أثناء اليوم -وهو صغير- ولم يحتلم من قبل ونامَ للظهر فقام محتلمًا، فإننا نقول: يجب الصيام عليه الآن؛ لأنه تبين لنا بهذا الاحتلام أنه قد بلغَ). اهـ [خطبة: استقبال شهر رمضان].

[حُكْمُ صومِ المُسافِر]

الرابع: يجب الصوم على المُقيمِ في بلده.

فإنْ سافرَ؛ فإنْ كان السفرُ مسافةَ قصرٍ فنُظر إلى حاله في السفر، فإن كان السفرُ لا يَشُقُّ عليه الصيامُ فيه، خُيِّر بين الإفطار والإمساكِ، والإمساكُ أفضل.

الثاني: إذا شَقَّ عليه، فيكون الفطر أفضل.

الثالث: إذا تضرر، فيكون الفطر واجبًا.

المسافر إذا سافرَ؛ فإن كان الصومُ لا يَشُقُّ عليه، خُيِّر بين الإفطار والصوم، والصومُ أفضل؛ لأن النبيَّ ﷺ صامَ وأفطر.

ثانيًا: إذا كان الصومُ يشق عليه مشقةً لكنه لا يصل إلى درجة التضرر، فالفطر يكون في حقه أولى؛ لأن النبي ﷺ أفطرَ في الصوم، وأمرَ الصحابة عند ملاقاة الأعداء بالفطرِ، وأفطر النبي ﷺ يوم عرفة حتى يقدر الناس على تحمل الحر وغيرِ ذلك.

أمَّا إذا كان الصوم في السفر يتضرر به الإنسان فيزدادُ -مثلًا- مرضُه أو يحدث له مرضٌ أو يتعرض لمخاطر، فإن الفطر في حقه أوجب، ولقد جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ، قال في شأن قومٍ أصروا على الصيام حتى تعرضوا لذلك، فقال ﷺ: «**أُولَئِكَ الْعُصَاةُ.. أُولَئِكَ الْعُصَاةُ**».

[حُكْمُ مَن سافرَ في نهارِ رمضان؛ ليُجامِعَ امرأته أو يُسقِطَ وجوبَ الصومِ عنه]

واعلموا -أحبتي في الله- أن مَن سافر في شهر رمضان ليُسقِط وجوبَ الصوم عنه، فيجامع امرأته، أو يأكل شيئًا للإفطار، وتعمد السفر من أجل ذلك،

أن ذلك لا يغيِّر الحكم الشرعي، وهو من المتحايلين، فمَن أراد امرأته في رمضانَ فسافرَ إلى القاهرة مثلًا أو إلى مكانٍ يجوز له الفطر من أجل أن يجامع امرأته، فهو آثمٌ، وعليه القضاء، وعليه الكفارة، كما لو جامعها في بلده.

[حُكْمُ صيامِ المريض]

خامسًا: أن يَكُونَ قادرًا.

فمَن كان مريضًا لا يستطيع الصيامَ، فله حالتان:

الحالةُ الأولى: أن يكون مريضًا مرضًا لا يُرجى برؤه، فهذا عليه الإطعام (١)، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ

---

(١) (ويَلْحَقُ بالمريض الذي لا يُرجى برؤه، الشيخُ والشيخة إذا كبر سنهما ولا يستطيعان الصوم، فعليهما الإطعام). اهـ [خطبة: استقبال شهر رمضان].

(ويجوز للإنسان أن يؤجِّل هذا الإطعام إلى آخر الشهر ويَجمع ثلاثين مسكينًا ثم يُطعِم الجميع؛ كما كان يفعل أنسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنَّ أنسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يجمعُ ثلاثينَ مسكينًا ثم يُطْعِمَهُم وجبةً واحدةً.

وعليه فإننا نقول: إذا أَخَّرَ الإطعامَ إلى آخرِ الشهر تَعَيَّنَ عليه أن يُطعِم ثلاثين مسكينًا، أما إذا أطعم كل يوم فإنه يجوز الاقتصار على مسكينٍ واحدٍ.

[ماذا] لو ماتَ هذا الكبيرُ ولمْ يُطعِمْ؟ نقولُ: على وليِّه أنْ يُطعِمَ عنه، وأن يُخرِجَ مِن تركته ما يُطعِم عن أبيه؛ ينظر كم يومًا أفطرَ أبوه، فيُطعِم عنه). اهـ [محاضرة: فقه الصيام].

﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٤] في شأنِ مَن كان قادرًا، أما مَن لم يكن قادرًا فعليه الإطعام إن شاء الله.

والنوع الثاني من المرض: أن يكون مريضًا مرضًا يُرجى برؤه؛ يعني ممكن أن يُشفى منه بعد شهر، بعد شهرين، فهذا لا يُطعِم وإنما عليه القضاء؛ لقولِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٤].

مسألةٌ: فإذا مرضَ مريضٌ في شهر رمضان مرضًا يُرجى برؤه، وعمل عمليةً جراحيةً، وانتهى رمضان وبقي العذر معه حتى ماتَ في ذي القعدة، فهل نطعم عنه أو نصوم؟

انتبهوا، مريضٌ مرضَ مرضًا يرجى برؤه، فاستمر به المرضُ حتى ذي القعدة فمات، فهل نُطعِم عنه أم نصوم؟

الجواب: لا نُطعِم عنه ولا نصوم؛ لأنَّ الواجب في حقه أن يقضي، ولمَّا لمْ يكن عنده وقتٌ للقضاء فماتَ، مات مغفورًا له.

أمَّا مَن كان مريضًا مرضًا لا يُرجى برؤه فلم يُطعِم حتى مات في ذي القعدة، فإننا نُطعِم عنه لأن الواجب في حقه الإطعام كل يوم.

هذا واعلموا -أحبتي في الله- أنه مَن كان عليه الإطعام، فإنه يُطعِم كلَّ يومٍ مسكينًا بما تيسر له، فإن أراد حَبًّا فكيلو ونصف من الأرز الأبيض، وإن أراد أن يُخرِج شيئًا مما طبخَ فالحمدُ لله، وذلك كلَّ يومٍ.

ولا يجوزُ إخراجُ المالِ مكانَ الإطعام؛ لأن القاعدة عندنا في الشرع: أن العبادة إذا نصَّ الشارع على جنسها فلا يجوز أن نعدل عن هذا الجنس إلى غيره،

وقد نصَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على الإطعام، ومعلومٌ أن المال موجود فلم يقل الله عَزَّوَجَلَّ: فكفالةُ مسكين، وإنما قال: ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة:١٨٤].

فلا يجوز أن تُخرِج لمسكين خمسة جنيهات أو عشرة جنيهات وإنما يجب عليكَ الإطعام.

[حُكْمُ صَوْمِ الحائض والنُّفَساء]

السادس: يجب الصيام على السالم من الموانع.

ومَنِ السَّالِمُ مِنَ الموانع؟

الخالي من مفسدات الصوم؛ كالمرأة إذا حاضت، فإذا حاضت المرأة المسلمة البالغة العاقلة القادرة المقيمة، إذا حاضت، جاء مانعٌ وهو الحيض، والحائض لا يجوز لها الصومُ، جاء في الصحيحين أن معاذة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سألت عائشة، فقالت: يا أم المؤمنين، ما بالُ الحائض تقضي الصومَ ولا تقضي الصلاةَ؟ فقالت لها: أحروريةٌ أنتِ؟! هل أنتِ من أهلِ الخوارج؟! لقد كان يُفعل بنا على عهدِ رسول الله ﷺ ذلك، فنُؤمر بقضاء الصوم ولا نُؤمر بقضاء الصلاة.

فمَن نزلَ عليها دمُ الحيضِ قبل غروب الشمس بدقيقةٍ واحدةٍ، بَطُلَ صومها -أكلتْ أَمْ لم تأكلْ-؛ لأن كثيرًا من النساء قد تتشدد، فتخشى الفطر في رمضان مع وجود دمِ الحيض، حتى أخرجوا مثالًا كنا نسمعه ونحن صغار، كانت النساء يقلن: صيامُ الحائض بلعنة وفِطْرُها بلعنتين! يعني هي ملعونة على كل الأحوال؛ إنْ صامت فصومُها بلعنة، وإن أفطرت ففطرها بلعنتين، وطبعًا تختار المسألة الأقل: تصوم بلعنة أفضل مما تفطر بلعنتين!

وهذا كلامٌ باطل، بل إن المرأة متى نزلَ عليها دمُ الحيض في أثناء اليوم، فإنها قد بطلَ صومُها -أكلتْ أَمْ لم تأكلْ-.

وكذلك النفساء؛ فمَن ولدتْ في رمضان بطلَ صومُها ولو لمْ ينزل معها دم، لكننا نقول: متى ارتفع دمُ الحيض في أي وقت من الأوقات، فإن ارتفع قبل أذان الفجر بدقيقةٍ واحدةٍ وجبَ عليها عقدُ النية للصوم ولو لمْ تغتسل إلا بعد الفجر.

انتبه، ولو لمْ تغتسل؛ يعني امرأة مع أذان الفجر انقطع دم الحيض، وبعد ذلك لم تغتسل حتى بعد الفجر بنصف ساعة، فصيامها صحيح.

هنا يجب الصوم على هؤلاء الأصناف الستة؛ على كلِّ مسلمٍ عاقلٍ بالغ قادرٍ مقيمٍ سالمٍ من الموانع.

وأمَّا النُّفَساء فمتى انقطعَ عنها الدمُ؛ بعد عشرة أيام، بعد خمسة عشر يومًا، بعد عشرين يومًا، بعد ثلاثين يومًا، فإنه يجب عليها الصومُ والصلاة [١]، فإذا

---

(١) (إذًا ما معنى أنْ تمكثَ النفساءُ أربعين يومًا كما جاء في حديث أُمِّ سَلَمَة عند بعض أصحاب السنن؟!

نقول: هذا هو الحدُّ الأقصى عند الجمهور، أمَّا المرأة إذا وصلتْ إلى الأربعين يومًا وهي نُفَسَاء، فبعدَ الأربعين تصومُ وتصلي -ولو نزلَ الدَّمُ-. هذه مسألةُ الأربعين). اهـ [محاضرة: فقه الصيام].

وصل الدم إلى الأربعين ولمْ ينقطع، اغتسلت وصلَّت وصامت على الصحيح من أقوال أهل العلم) (١).

(١) خطبة: استقبال شهر رمضان.

ثَامِنًا:

مُفْسِدَاتُ الصِّيَامِ

(هذا واحذروا -أحبتي في الله- المُفَطِّرات في رمضان؛ منها الأكلُ والشُّرْبُ عَمْدًا [١]، ومنها الجماعُ -وهو أخطرها-؛ فمَن جامعَ امرأته في نهار رمضان

(١) (فإنْ أكلَ أو شربَ ناسيًا لمْ يبطل صومُه، وقد جاء في الصحيحين أنّ النبي ﷺ، قال: «**مَنْ نَسِيَ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ وَهُو صَائِمٌ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ**».

مسألةٌ: هل هناك فَرْقٌ بين الفرضِ والنَّفْلِ في ذلك؟

الجواب: ليس [هناك] فرقٌ بين الفرض والنفل، فمَن نسي فأكل أو شرب في فرضٍ أو نفل صح صومه ولا شيء عليه.

وجميعُ المفطرات اشترطَ العلماءُ للفطرِ بها ثلاثةَ شروطٍ: أنْ يَكُونَ ذاكِرًا، مُختارًا، عامِدًا.

فلو أكلَ مُخطئًا؛ ظنَّ بقاءَ الفجر وقد طلعَ الفجر، رَجُلٌ قامَ من النوم ثم نظرَ في الساعة -والفجر يُؤذَّن له الساعة الرابعة والربع-، فوجدها الرابعة إلا ربع!، وهي [في الحقيقة] الخامسة إلا ربع، فأكلَ وشَرِبَ وأَعَدَّ شَايًا، ثم سمعَ زقزقة العصافير! ففتح البابَ فرأى النور! [فهل] هذا الرجل يصحُّ صومُه؟

الجوابُ: [نعم] يصحُّ صومُه.

طيِّب، رَجُلٌ [آخَر] قامَ مباشرةً على المطبخ! لمْ ينظرْ في ساعته [عندما استيقظ]، على المطبخ مباشرةً، فهذا نقول [عنه]: آثمٌ، وعليه الإعادة.

ما الفرقُ بينهما؟!

=

عامدًا متعمدًا فعليه الكفارة المغلظة، عليه أن يُعتِقَ رقبة، فمَن لم يجد فصيامُ شهرين متتابعين، فمَن لم يجد فإطعامُ ستين مسكينًا. هذه هي المُفطِّرات التي اتفقَ عليها العلماء.

وهناك مفطراتٌ أخرى اختلفَ فيها أهلُ العِلم؛ كالحجامةِ [١]، وكالإبرِ وغيرِ ذلك.

التفريطُ؛ هذا مُفرِّطٌ، لكنَّ هذا ليس مُفرِّطًا.

ولقد جاء في الصحيحِ من حديث أسماء، أنها قالت: أَكلنا على عهدِ رسول الله ﷺ، فرأينا الشمسَ، ولمْ يأمرنا النبي ﷺ بالقضاء). اهـ [محاضرة: فقهُ الصيامِ].

(١) (وهذه مسألةٌ اختلفَ فيها أهلُ العلم، وهي: إخراجُ الدم من البدن بالحجامة، ومثلها التبرع بالدم.

هذه مسألةٌ الخلافُ فيها طويلٌ بين أهلِ العلم، والذي يترجّح -بالنظر في أقوال أهل العلم-: أن الحجامة تُفَطِّرُ «**أَفْطَرَ الحَاجِمُ وَالمَحْجُومُ**»، وأما ما وردَ عند البخاري من أن النبي ﷺ احتجم وهو صائمٌ، فهذا الحديث قال عنه أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبعضُ أهلِ العلم: بأنه منسوخٌ بهذا الحديث.

والكلامُ طويلٌ؛ فمنهم مَن ردَّ دعوى النسخ هذه، وقال: بأن حديثَ البخاري يُقدَّم، وهذا ظاهرُ ما اختاره البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لكنَّ أهلَ الحديث والترجيح وشيخَ الإسلامِ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ [يُقدِّمون حديثَ] «**أَفْطَرَ الحَاجِمُ وَالمَحْجُومُ**».

=

إلا أننا نقولُ: إنَّ الرَّاجِحَ من أقوالِ أهلِ العِلم أنَّ الإبرَ لا تُفطِّر إلا إذا كانت مُغذِّيةً، فنوعٌ واحدٌ فقط وهو الإبرُ المُغذِّية -الجُلوكُوز-، هذا المُفَطِّر (١)، وسائر الحُقَن والإبر لا تُفطِّر -ولو كانت شرجية، ولو كانت مُقَوِّيًا عامًا- (٢).

لكنْ «**أَفْطَرَ الحَاجِمُ**»: إذا كانت الحجامة عن طريق المَصِّ؛ يَمُصُّ هذا، أو يستعمل فمه، أمَّا إذا استعمل الأدوات الحديثة وليس لفمِّه دَخْلٌ، فإن الحاجم لا يُفطِر، والفطرُ يكون قاصرًا على المحجوم.

وذلك من جهة النظرِ أمرٌ معتبَر؛ لأن الإنسان يضعف بنزول الدم بهذه الطريقة من بدنه). اهـ [محاضرة: فقهُ الصيام].

(١) (فإذا أخذَ الإنسانُ هذه الإبرَ فإنه يُفطِرُ بذلك؛ لأن هذه الإبرَ في معنى الطعامِ والشراب، يَحْصُلُ [بها] تغذيةٌ للبدنِ واستغناءٌ عن الطعام والشراب. ولهذا الواحد لو رأى إنه يعمل عمليةً، ممكن يبقَى يومين أو ثلاثة أو أربعة على هذا الجلوكوز، أو بعد العملية). اهـ [محاضرة: فقه الصيام].

(٢) (أيُّ إبرةٍ تأخذها [سواء كانت] وَرِيدًا أو عَضَلًا -ولو وجدتَ طعمها في الحَلْق-، فإنك لا تُفْطِرُ بذلك؛ لأنها ليست طعامًا ولا شرابًا، ولمْ يَرِدْ نَصٌّ في إبطال الصوم، والأصلُ بقاءُ الصوم، ولا نُلزِم الناسَ بالقضاء، ولا نُبطِل صيامَ الناس إلا بنصٍّ -ولا نص!-؛ لأنها ليست طعامًا ولا شرابًا، ولا في معنى الطعام ولا في معنى الشراب.

وعليه لو أخذَ تحميلةً أو لُبُوسَةً، فصَوْمُه صحيحٌ.

=

كذلك الراجح أيضًا أنَّ الحجامةَ تُفطِّر في رمضان.

أمَّا أنْ يُؤخَذَ من الإنسانِ عينةٌ للتحليل فلا يضرُّ ذلك، أمَّا إذا تبرَّعَ بالدم فإنه يُفطِر؛ لأنه فيه معنى الحجامة) (١).

(مِنَ الْمُفَطِّراتِ أيضًا: نزولُ المَنِيِّ عنْ مُباشَرةٍ أو غيرِ ذلك:

فلو باشرَ رجلٌ امرأتَه فأنزلَ مَنِيًّا، فإنَّ صومَه يَبْطُل، لكنْ هل عليه كفَّارة؟

الجواب: ليس عليه كفَّارة.

لكنه لو أَمْذَى فقط؛ يعني أَنزلَ مَذْيًا.. وما الفَرْقُ بين المَذْيِ والمَنِيِّ؟

أمَّا المني؛ فهو الماء المتدفق الذي يشعر البدن كله بالشهوة حالَ نزوله؛ مثل الاحتلام أو الجماع.

أما المذي؛ فإنه تنزل النقطة، النقطتان، يَحْصُلُ هذا.. العلماءُ قالوا: بنشوة؛ يعني ما تحصل شهوة يهتز لها البدن لكن هذه نشوة، قد يحصل هذا إذا قبَّل الرَّجلُ امرأته أو كذا، قد يحصل نزول هذا.

جميع الإبر -إلا المُغَذِّية فقط- لا يُفْطِرُ الإنسانُ بها، ولا يَبْطُلُ صومُه بها، والقطرةُ كذلك، أو المراهم التي يشعر بها الإنسان. كلُّ هذا لا يُفسِدُ الصومَ على صاحبه) اهـ. [محاضرة: فقه الصيام]

(١) خُطبة: استقبال شهر رمضان.

وهذا لا يَبْطُل صومُه على الصحيح من قولي أهل العلم، لكن يُكرَه لإنسانٍ إذا لم يكن مالكًا لشهوته أن يُقبِّل امرأته وهو صائمٌ، يُكرَه هذا؛ لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ النبيُّ ﷺ يَمْلِكُ إِرْبَهُ؟

أَمَّا الاحتلام، فإنْ احتلم؛ نام بالنهار واحتلمَ ونزلَ المني وشعرَ بالشهوة، هل يَبطل صومه؟

الجواب: لا يَبطل صومُه، وصومُه صحيح؛ لأنه لا دَخْلَ له في ذلك.

أيضًا من المفطِّرات أنْ يتقيأَ الإنسانُ عمدًا؛ قال ﷺ: «**مَنِ اسْتَقَاءَ فَلْيَقْضِ**».

وَاسْتَقَاءَ: يعني طلبَ خروجَ القَيْءِ، [كأن] يضع -مثلًا- إصبعه فأخرَجَ هذا القيء، فهذا يَقضِي.

«**وَمَنْ زَرَعَهُ القَيْءُ فَلْيُتِمْ صَوْمَهُ**». لا شيءَ عليه.

ما معنى زرعه القيء؟ يعني غلبه، رأى منظرًا -مثلًا- فتقيَّأَ، هذا لا شيء عليه.

أَمَّا مَن استقاءَ؛ يعني أخرجَ القيء بنفسه، فهذا عليهِ القضاءُ) (١).

---

(١) محاضرة: فقه الصيام.

الوقفة الثانية

[فقه الاعتكـــــاف]

أَوَّلًا:

تَعْرِيفُ الاعْتِكَافِ

(**الاعتكافُ [لُغَةً]**: هو لزومُ الشيء، وحبسُ النفْس عليه.

قالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنبياء:٥٢]، قد حبستم أنفسكم عليها وألزمتم أنفسكم طاعتها، فما هذه التماثيل؟!

وأمَّا في الشَّرْعِ: فالاعتكافُ هو لزومُ المسجدِ؛ لأداءِ هذه الطاعةِ العظيمة المخصوصة زمنًا).[1]

---

(١) محاضرة: فقه الاعتكاف.

ثَانِيًا:

زَمَنُ الاعْتِكَافِ

(**أَمَّا زمنُ الاعتكافِ**: فإنه يبدأُ من غروبِ شمسِ ليلةِ الحادي والعشرين إلى غروبِ شمسِ آخِرِ يومٍ من شهرِ رمضان -على الصحيح-.

وقد اختلفَ أهلُ العِلم متى يبدأُ الاعتكافُ؟

وجماهيرُ أهلِ العِلم على أن الاعتكافَ يبدأ من غروبِ شمسِ ليلة الحادي والعشرين؛ أي مغرب هذه الليلة.

وهذا قولُ الأئمة الأربعة إلا روايةً لأحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فقد رأى -وأيَّدَ ذلك الأوزاعيُّ والليثُ وغيرهما- أنَّ الاعتكافَ يبدأُ من فجرِ ومن صُبْحِ اليوم الحادي والعشرين؛ يعني غدًا من صلاة الفجر.

وقد استدلوا على ذلك بما صحَّ أن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان النبيُّ ﷺ إذا أرادَ أن يعتكفَ صلى الفجرَ ثُمَّ دخلَ مُعتكفَه.

ولكنَّ الجماهير أوَّلتْ هذا -كما ذكرَ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكما ذكرَ النَّوَوِي كذلك- أوَّلوا ذلك على أن النبي ﷺ، إنما كان يبدأ اعتكافه من مغربِ الحادي والعشرين، ولكنه لمْ يكن يدخل معتكفَه الخاص؛ لينامَ فيه إلا صُبْحَ الحادي والعشرين.

فيكون مرادُ عائشة: يدخل معتكفه إذا صلَّى الفجرَ؛ يعني الخاص الذي يريد أن ينامَ فيه.

أمَّا بَدْءُ الاعتكافِ: فهو من مغربِ هذه الليلة، ولأن هذه الليلةَ -باتفاق- هي من ليالي العَشْر، وأن النبي ﷺ إنما كان يعتكف هذه العَشْر تحرِّيًا لليلة القدر، فتدخل هذه الليلة ضمن الليالي التي تُتحرَّى.

بل قد جاء في الصحيح أن النبي ﷺ رآها -أي رأى ليلة القدر سَنةً من السنوات- ليلةَ الحادي والعشرين. هذا هو الصوابُ.

وأمَّا متى ينتهي الاعتكافُ؟ فالجماهيرُ أيضًا على أنه ينتهي بغروبِ شمسِ آخِرِ يومٍ من رمضان، فإذا ظهرَ هلالُ شوال خرجَ الناسُ من المُعتكَف.

وذهبَ بعضُ أهلِ العِلم -ومنهم الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ- إلى أن المُعتكِف لا يخرجُ من المُعتكَف إلا بعد صلاة العيد.

يخرج إلى صلاة العيد ثم يخرج بعد ذلك، وكان الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: كان الأفاضل من الناس يصنعون ذلك، وأدركتهم يصنعون ذلك.

ولكنَّ الصواب أن الاعتكافَ ينتهي بغروبِ شمسِ آخرِ يومٍ من رمضان؛ لأنه إذا ظهرَ الهلالُ -هلالُ شوال- خرجنا من رمضان، فلمْ يَعُدْ شيئًا يُتحرَّى، فيخرجُ المُعتكِف من المُعتكَف غروبَ شمسِ آخرِ ليلةٍ من ليالي رمضان.

هذا عن بدئه وعن نهايته). (١)

---

(١) محاضرة: فقه الاعتكاف.

ثَالِثًا:

أَقْسَامُ الاعْتِكَافِ

(**الاعتكافُ على قسمين**: اعتكافٌ واجب، واعتكافٌ مَسْنُونٌ.

أَمَّا متى يَجِبُ الاعتكاف؟

فيجبُ الاعتكافُ بالنَّذْرِ -إذا نذرَ الإنسانُ- سواء نَذْرًا مُطْلَقًا؛ قال: للهِ عليَّ أنْ أعتكفَ ليلةً، شهرًا، أسبوعًا، فمَن نذرَ أن يعتكفَ شهرًا اعتكفَ شهرًا، وجبَ عليه ذلك، ومَن نذرَ أن يعتكف سَنةً وجبَ عليه أن يعتكفَ سَنةً؛ لأن النبي ﷺ قال: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ، فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ، فَلاَ يَعْصِهِ**».

أو كان نَذْرًا مُعَلَّقًا؛ كأنْ يقول: إنْ شفَى اللهُ ولدي، فلأعتكفنَّ ليلةً أو يومًا.

هذا نذرٌ مُعلَّق، وهذا النذرُ المُعلَّق مكروهٌ، بل بعضُ أهلِ العِلم يرى تحريمه، وأنه لا يجوز لإنسانٍ أن يقول: إذا شفى الله ولدي.. إذا نجحَ ولدي.. إذا ربحتُ في تجارتي اعتكفتُ شهرًا أو شهرين أو ثلاثة.

هذا لا يجوز؛ لأن هذا فيه سوءُ أدبٍ مع الله عَزَّوَجَلَّ، كأنَّ الإنسانَ يقول: يا ربِّي لن أعتكفَ، لن أصومَ، لن أصلي، لن أتصدقَ إلا إذا شَفَيْتَ ولدي، إذا أَرْبَحْتَ تجارتي، إلى غير ذلك من هذه الأشياء.

وأمَّا إذا لم يُوجِبه الإنسانُ على نفْسِه بنذرٍ، فإنه يَكُونُ مسنونًا، فَيُسَنُّ الاعتكافُ فيما عدا ذلك، وآكَدُ هذا الاعتكاف العَشْرُ الأخيرُ من شهر رمضان، كما كان النبي ﷺ يعتكف هذه العشر). (١)

(١) محاضرة: فقه الاعتكاف.

رَابِعًا:

آدَابُ الاعْتِكَافِ، وَمَتَى يَبْطُلُ؟

(ينبغي للمُعتكِف أنْ يذكرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن ينشغلَ بالعبادات والطاعات، وألا ينشغل بغير ذلك؛ لأنه إنما أتى فحبسَ نفْسَه هذه المدة المعلومة، حبسَ نفْسَه على الطاعة والعبادة، فلا ينبغي أن يَصْرِفَ وقتَه لغيرِ طاعةِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعبادةِ الله عَزَّوَجَلَّ. ولهذا قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (لطائفِ المَعارِف) وهو يُعرِّف الاعتكافَ، فعرَّفه تعريفًا ماتعًا مختصرًا، قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والاعتكافُ قَطْعُ العَلائقِ عَنِ الخَلائقِ. اهـ

يعني أنتَ تاجرٌ، إذًا اقطعْ علاقتكَ بالتجارة في هذه العشرة، أنتَ عاملٌ، أنتَ تبيع وتشتري، أنتَ أيُّ شيءٍ، اقطعْ علاقتك بالناس، واجعلْ تفرُّغَكَ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في هذه العشرة.

قَطْعُ العَلائقِ عَنِ الخَلائقِ، فلا يبقَى للإنسانِ شيءٌ يتعلَّق به في هذه العشرة.

إذا أردتَ أنْ تنتفع بالاعتكاف انتفاعًا صحيحًا، فاقطعْ نفْسَك عن كل المؤثرات الخارجية؛ حتَّى تنتفعَ بهذا الاعتكاف. ولهذا لا يجوز لإنسانٍ أن يَخْرُجَ من الاعتكاف لغير حاجةِ الإنسان، فإنْ خرجَ من الاعتكافِ فباعَ واشترَى، بَطُلَ الاعتكافُ). (١)

---

(١) محاضرة: فقه الاعتكاف.

خَامِسًا:

حُكْمُ خُرُوجِ الْمُعْتَكِفِ مِنَ الْمَسْجِدِ

(والعلماءُ قالوا: بأنَّ خروجَ المُعتكِف من اعتكافه على ثلاثة أقسام:

القسمُ الأول: أنْ يَخْرُجَ من المُعتكِف لحاجَةِ الإنسان؛ كطعامٍ، شرابٍ، قضاءِ الحاجة؛ من بَوْلٍ وغائِطٍ، وغيرِ ذلك.

حاجَةٌ لابد منها، أو -مثلًا- يَخْرُجُ إذا كان المسجدُ ليس مسجدَ جمعة، فيخرج لصلاة الجمعة.

كلُّ هذا الخروج للحاجَةِ لا يُبْطِلُ الاعتكافَ، ولا يُنْقِصُ أجرَ المُعتكِف، وقد جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: وكان النبي ﷺ لا يدخل بيته إلا للحاجة. وفي روايةٍ: لحاجةِ الإنسان.

ما حاجةُ الإنسان؟ [هي] البولُ، الغائط، وغيرُ ذلك.

كذلك إذا كان الإنسان لا يجد مَن يأتي له بالطعام والشراب، جاز له أن يخرج فيأكل ويشرب -ولو كان في بيته- ثم يَعُودُ إلى المسجد.

لكنْ -الحمدُ لله- الآن أصبحَ الأمرُ ميسورًا؛ الطعام، الشراب، قضاء الحاجة، كلُّ ذلك أصبح في المسجد، وعليه لا يجوزُ للإنسان أن يخرج من المُعتكَف.

إذًا لو خرجَ المُعتكِف -أولًا- لحاجته، هذا لا يُبْطِلُ اعتكافَهُ.

ثانيًا: أنْ يَخْرُجَ الإنسانُ لغيرِ الحاجةِ، وهذا على قسمين:

الأولُ: أنْ يخرجَ لشيءٍ ينافي الاعتكافَ؛ كأنْ يخرج للبيع، للشراء، أن يخرج للعمل -مثلًا- رَجُلٌ يعمل سائقًا لقطارٍ أو أتوبيسٍ أو طائرةٍ، يخرج للعمل طوال النهار، ثم يَعُودُ [ليلًا] إلى الاعتكاف.

هذا يَبْطُل اعتكافُه، لكنه يُؤجَر على وجودِه في المسجد، إذا رجعَ [بعد صلاة] المغرب وقضى الليل كلَّه إلى الساعة الثامنة صباحًا، ثم ذهبَ إلى عملِه وقضى مصلحتَهُ، ثم عاد إلى المسجد، لا إشكالَ في ذلك إن شاء الله من جهة الأمر، فإنه يُؤجَر على الوقت الذي حبسَ نفْسه فيه في المسجد لاسيما أنَّ بعضَ أهلِ العِلم، قال: بجواز الاعتكافِ لأقل من يومٍ.

فالجماهير على أنَّ أقلَ مدةٍ للاعتكاف ليلة، لكنَّ بعضَ أهلِ العِلم يرى أنه يجوز الاعتكاف ولو ساعة [أو] ساعتين [أو] ثلاثة، ليس شرطًا؛ وعليه فلو اعتكفَ الإنسان مثلًا وعنده شُغْلٌ يخرج إليه الساعة الثامنة [صباحًا] ويَعُود منه الساعة الثالثة [عصرًا]، هنا اعتكاف السُّنَّة الذي هو العشر الأخير ليس ذلك هو بالتأكيد، لكنْ هو مأجورٌ على مُكْثِهِ في المسجد، كلُّ ساعةٍ يمكثها زيادة فإنه مأجورٌ عليها.

لكن نحن لا نريدُ -مثلًا- مَن يذهب لعملِه، والثاني يروي أرضَه، والثالث يركب سيارتَه، وآخَر تُقابِله في السوق، ثم يقول: واللهِ أنا مُعتكِفٌ! -يبيع ويشتري-.

هذه حاجةٌ تنافي الاعتكافَ، كما قلنا: أصلُ الاعتكاف، ما هو؟ [هو] قطعُ العَلائق عن الخلائق، لكنْ أنتَ معكَ قلمُكَ تُوَقِّعُ به للناس، ومعكَ فَأْسُكَ تحرث

به في أرضِكَ، ومعك سيارتك تذهب بها هنا وهناك، بضاعتك معك تبيع وتشتري وتذهب للأسواق، ثم بَعْدَ ذلك تريدُ أن يَكُونَ لكَ [أجرُ] نفْسِ الاعتكاف الذي ينقطعُ فيه الإنسانُ للرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في المسجد؟!

لا، لكنْ أنتَ مأجورٌ، وأنا أنصح إخواني الذين لا يستطيعون الاعتكاف الدائم ألا يُفوِّتُوا الفرصةَ، ولا يُفرِّطْ في الاعتكاف بدعوى أنه لن يستطيعَ المواظبةَ عليه.

لا، إنْ استطعتَ ألا تَفُوتَكَ دقيقةٌ إلا في المسجدِ في هذه العَشْرِ فافعلْ -بارك الله فيك-، وقد قال ﷺ: «**إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا صَلَّى فِي مُصَلَّاهِ، ثُمَّ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ يَذْكُرُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: جَلَسْتِ الْمَلَائِكَةُ بِجِوَارِهِ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ**».

الثاني: هو أنْ يخرجَ من الاعتكافِ لحاجةٍ لا تنافي الاعتكافَ.

مثل صلاة الجنازة وتشييع الجنازة، [مثل] صلاة الجمعة -إذا لم يكن في المسجد جمعة-، فهل يجوز [له] أن يخرج أَمْ لا؟ [مثل] عيادة مريض.

هنا اختلفَ أهلُ العِلم؛ فمن أهلِ العِلم مَن قال -فيما عدا الجمعة، هذه واجب الإنسان يشهدها، لكن تشييع الجنازة، عيادة المريض، زيارة أُم -مثلًا- مُتْعَبَة، أو تحتاج إلى الابن -مثلًا- أنْ يقضي لها مصلحة معينة أو كذا-، فمن أهلِ العِلم مَن قال: لا يجوزُ الخروجُ.

ومنهم مَن قال: يجوز الخروج إذا اشترطه الإنسان قبل دخول المعتكَف؛ يعني أنا -مثلًا- أقول: إنْ حصلتْ جنازة -مثلًا- خرجتُ، إنْ ماتَ عَمِّي -عَمِّي

يحتضر مثلًا- إنْ ماتَ عَمِّي سأخرج، أنا أشترطُ ذلك بيني وبين ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إنْ احتاجتني أُمِّي واتصلتْ عليَّ -مثلًا- خرجتُ. واشترطَ ذلك على نفسِه.

قالوا: بجواز ذلك. وقد اختار ذلك شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واستدل على ذلك بحديثِ ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ عندما كانت مريضةً وأرادتْ أنْ تَحُجَّ، فشَكَتْ للنبي ﷺ المرضَ، فقال لها النبي ﷺ: «**حُجِّي وَاشْتَرِطِي أَنَّ مَحِلِّكِ حَيْثُ حُبِسْتِي**».

اذهبي حُجِّي، احْرِمِي، توكلي على الله، إنْ حَبِسَكِ حابِسٌ قولي هكذا: إنْ حَبَسَنِي حابسٌ -مَرَضٌ أو غيرُه- فمحلِّي حيث حَبَسْتَنِي.

لا بأس الآن بأنْ تتحلل، وليس عليها شيء، لماذا؟ لأنها اشترطتْ في الأوَّل.

ولكنْ لو خرجَ اليوم رَجُلٌ ليعتمرَ أو ليحج من غيرِ اشتراطٍ، ثم حدثَ له ظرفٌ معيَّن، فلمْ يستطع أنْ يُكْمِلَ. نقولُ له: يجب عليك الحج من قابِل، وعليك أن تذبحَ دمًا.

لكنْ لو أنتَ اشترطتَ، انتهى الأمرُ.

قال شيخُ الإسلام: وإذا كان الشرطُ جائزًا في الإحرامِ -وهو أعظم-، فمن باب أولى يجوزُ في الاعتكاف.

إذًا لو أرادَ إنسانٌ أنْ يعتكفَ لكنه قلقٌ على أُمِّه المريضة التي قد تحتاجه إلى أنْ يكشفَ عليها، أو عمِّه الذي يحتضر -مثلًا- وإذا ماتَ فيحتاج أنْ يصلي عليه ويشهد جنازته، فليُضْمِرْ هذه النيةَ في نفسِه.

لماذا؟ لأنَّ هذه طاعاتٌ فلا تتنافَى مع الاعتكاف؛ لأن الاعتكافَ طاعةٌ بخلافِ البيع والشراء.

القسم الثالث من خروجِ المُعتكِف:

أنْ يخرج المُعتكِف ببعضِ بَدَنِه، [كأنْ] يُخرِج يدَه من المسجد؛ ليتناولَ شيئًا، فهذا لا إشكالَ فيه، ولا يَبْطُل الاعتكافُ بذلك.

مثلًا هناك مُعتكِفٌ يجلس بجوار باب المسجد، وأتى له أحدُ الأصدقاءِ بطعامٍ، فمدَّ يدَه ليتناولَه -صينية كِيكَة مثلًا-..

هذا ممنوعٌ، وسوف نُنبِّه على مثلِ هذه الأشياء بعد الصلاة -إن شاء الله-، فقد قلنا: قَطْعُ العَلائِق والصَّوَانِي!!

فلو مدَّ يدَه ليأخذَ -وخرجتْ يدُه- لا إشكالَ في ذلك -إن شاء الله-، ولو أخرجَ رأسَه لا إشكالَ في ذلك، ودليلُ ذلك أن النبي ﷺ كان يُخرِجُ رأسَه لعائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهو -مُعتكِفٌ- فتُرَجِّلُه.

تُمَشِّطُ له رأسَه ﷺ وهو مُعتكِف؛ لأن حُجَرَ النبي كانت تفتح داخل المسجد، فكان النبيُّ ﷺ يَمُدُّ رأسَه في حِجْر عائشةَ فتُرَجِّلُه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو صائم.

إذن خروجُ المُعْتَكِفِ الآن:

١. **أنْ يَخْرُجَ لحاجةِ الإنسان**: وهذا لا إشكالَ فيه، إذا كان يحتاج إلى أنْ يتبَّول أو يتغوَّط... إلى آخرِه.

أيضًا أحدُ المعتكفين مَرِضَ الآن -نسألُ اللهَ العافيةَ للجميع- وأرادَ أن يذهبَ إلى المستشفى؛ لِيَكْشِفَ ثم يَعُود مرةً أخرى، فلا إشكالَ -إن شاء الله- واعتكافُه سليمٌ صحيحٌ؛ لأن هذا أيضًا مما يدخلُ في حيز الحاجة.

٢. **أنْ يَخْرُجَ من الاعتكافِ لغيرِ حاجةِ الإنسان، وهذا على قسمين:**

أولًا: أنْ يخرج لحاجة تتنافى مع الاعتكاف، وهذا يُبْطِلُ الاعتكافَ.

ثانيًا: أنْ يخرج لحاجة لا تتنافى مع الاعتكاف، وهذا يصحُّ -إذا اشترطَه-.

٣. **أنْ يَخْرُجَ ببعضِ بَدَنِه:** وهذا جائزٌ، ولا إشكالَ فيه -إن شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-) (١).

---

(١) محاضرة: فقه الاعتكاف.

سَادِسًا:

هَلْ تَجُوزُ زِيَارَةُ الْمُعْتَكِفِ؟

(مسألةٌ: هل يجوزُ لأحدٍ أنْ يزورَ أحدًا في المُعتكَف؟

يجوز ذلك، لكنْ لا ننصح بهذا بكثرة، الشيء الضروري لا بأس بذلك، إنما المسجد في هذه الفترة ليس محلًا للتلاقي مع الزوار واستقبال الزائرين وكذا وكذا..

لا، ولهذا نقولُ لكَ: لا تُؤْثِرْ أحدًا بوقتكَ، فبعضُ الإخوة مثلًا لمْ يروا بعضًا إلا في العَشْر! وكأنَّ هذا مُجَمَّعًا يتلاقى فيه الأحبةُ، كلٌّ يحكي ما عنده.

لا، اجعلوا بعضَ الأيامِ الأخرى -ولتكن: واحد شوال، اثنين شوال، ثلاثة شوال- للروايات والحكايات، إنما هذا لا تُؤْثِرْ أحدًا بوقتِكَ.

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمةً واسعةً: أمَّا الإيثارُ بالدنيا -تُؤْثِرُ أحدًا ببيتِكَ، تُؤْثِرُ أحدًا بعُمْرِك ونفْسِك- فإنَّ ذلك محمودٌ - يعني لو الواحد يُؤْثِرُ أخاه بنفسه، بعمره، فإن ذلك محمود، تُؤْثِر أحدًا ببيتك؛ تخرج من بيتك وتُسكنه فيه، فإن ذلك محمود-، أمَّا الإيثارُ بالدِّين والقُرَبِ والوقت فلا. اهـ

إياك أنْ تُؤْثِرَ أحدًا بدِينك، ولا تُؤْثِرْ أحدًا بوقتك، فأنتَ تستطيعُ أنْ تقولَ في الدقيقة الواحدة التي كنتَ تتحدث فيها مع غيرِكَ: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**».

إذًا «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ**»، فلماذا تخسر؟! لاسيما في هذا الوقتِ.

[مسألةٌ أخرى] هل يجوز للزوجة أنْ تزورَ زوجَها في المُعتكَف؟

نعم يجوز للزوجة أن تزورَ [زوجها]، لكن هذا ليس مطلوبًا، وأصلًا ليس لدينا هنا أماكن للمُقَابَلة، فقط مكان ينام فيه [المُعتكِف].

[هذا] وقد أصبحتِ الزيارةُ الآن عن طريق الهاتف والمحمول مُتيسِّرة، لكنَّ المرأةَ يجوز لها أن تزورَ زوجَها في المُعتكَف، وقد جاء في الصحيح أن صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زارت النبي ﷺ في معتكفه، فتحدَّثَ معها ساعةً، ثم قامَ يَقْلِبُها إلى بيتها) [1].

---

(١) محاضرة: فقه الاعتكاف.

سَابِعًا:

اِحْرِصْ عَلَى تَحَرِّي لَيْلَةِ الْقَدْرِ

(حاصلُ الأمرِ: أنَّ الاعتكافَ في هذا الزمن المخصوص مدرسةٌ عظيمةٌ -أيها الأحبة- ينبغي أن نستفيدَ منها، وأن نستفرغَ الطاقة والجَهْد في هذا الزمن المبارك -إن شاء الله- في طاعة الله، والإقبالِ على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، واستغلالِ الوقت كلِّه فِكرًا وتلاوةً وصلاةً وعِلمًا وغيرَ ذلك.

ولا تُضيِّعْ لحظةً واحدةً -كما قلتُ لكَ- من هذا الاعتكافِ أبدًا، ولهذا لا تنشغلْ لا بطعامٍ ولا بشرابٍ ولا بنومٍ، أنامُ في أيِّ مكانٍ، آكلُ أيَّ حاجَةٍ، أشربُ أيَّ شيءٍ.. كلُّ هذا الأمرِ لا يلتفتُ إليه الإنسانُ في هذه العَشْرِ.

انظروا إلى الواحد عندما يُحكَم عليه مثلًا -نسأل الله العافية لنا ولكم- بالسجن لمدة أسبوع أو شهر أو سَنة، يكون سعيدًا لو استنشقَ بعضَ الهَواءِ الطَّلْقِ، لكننا الآن -الحمدُ لله- لسنا مَسْجُونِين -وإنْ حَبَسْنَا أنفُسنا باختيارِنا؛ تقرُّبًا إلى اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وطاعةً لله عَزَّوَجَلَّ-.

فينبغي أنْ يَحْمَدَ الإنسانُ ربَّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على هذه النِّعمة، وأن يستغل وقته كله في هذا الزمن المبارك في طاعة اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ تحرِّيًا لليلةِ القدر التي هي على اليقينِ ليلة؟

على اليقينِ ليلة الحادي والعشرين، والثاني والعشرين، والثالث والعشرين، والرابع والعشرين إلى الثلاثين -على اليقين-.

فُرْصَةٌ جيدة، نحن لا نقول: في السَّنَة كلِّها، لو في السَّنَة يَكُونُ الأمرُ مُتْعِبًا، لكنْ أمَّا نختصرُ السَّنَةَ في عَشْرِ ليالٍ، [هل هذا] صعبٌ؟!

ليس صعبًا، ولهذا جاء عند البخاري أن النبي ﷺ خرجَ يُخْبِرُ بليلة القدر، فتَلاحَى فلانٌ وفلان -اختلفَ رجلان-، فقالَ النبي ﷺ: «**خَرَجْتُ أُخْبِرُ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلاحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ**».

فهذه تُتحرَّى في العَشْرِ كلِّها، ليس هناك فَرْقٌ بين الليالي الزوجية وليالي الوِتْر، إنما تُتحرَّى في العَشْرِ، لكنْ آكَدُ التَّحَرِّي في العَشْرِ الوِتْر، وآكَدُ الوِتْرِ السابع والعشرين.

وقد صحَّ أنَّ أُبَيَّ ابنِ كَعْبٍ كان يحلفُ باللهِ أنها ليلة السابع والعشرين، ولكنَّ الصوابَ أنها لمْ تُعَيَّنْ، ولهذا ذكرَ ابنُ حَجَرٍ اختلافَ أهلِ العِلم في تعيينها، ووصلتْ أقوالُهم إلى أربعين قولًا!

والراجحُ أنها تُلتَمس في العَشْرِ، ولكنْ آكد العشرِ الوتر، آكد الوتر السبع، إلا أن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجعل آكد الوتر ليلةَ الثالث والعشرين.

ولهذا تجد الإخوة ينشغلون؛ يقول أحدهم: لقد رأيتُ رؤيا أنها الليلة، وآخر يقول: يبدو لي أنها هذه الليلة؛ لأنني شعرتُ بصفاءٍ عجيب، وفي المقابل كان الثاني يشعرُ بكسلٍ ونومٍ عميق.

ولهذا كلُّ واحدٍ فيهم سيقول: هي ليلة الحادي والعشرين، والثاني يقول: هي ليلة الثالث والعشرين، والثالث: هي ليلة الخامس والعشرين، والرابع: هي ليلة السابع والعشرين..

كلُّ واحدٍ يُخْبِرُ عن نفْسِه وعن قَلْبِه الذي يجده في ليلةٍ من هذه الليالي.

إذًا فإذا وجدَ العبدُ -إن شاء الله- قَلْبَهُ في هذه الليالي كلِّها، فقد حصَّلها -بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

فالتمسوا هذه الليلةَ في هذه العَشْرِ، وبهذا تجتمع أحاديثُ النبيِّ ﷺ، فإنَّ النبيَّ أوصَى في أحاديث متفرِّقة تارةً بليلة السابع، الثالث، الحادي، السبع، التسع، وهكذا.

والصوابُ: أنَّ الإنسانَ يتحرَّى ليلةَ القدر في هذه الليالي كلِّها، ويتخلَّى لعبادةِ ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ) (١).

(١) محاضرة: فقه الاعتكاف.

الوقفة الثالثة

[فقه صدقـــة الفطـــــر]

أَوَّلًا:

حُكْمُ صَدَقَةِ الْفِطْرِ، وَمِقْدَارُهَا

(فنقول: أيها الأحبةُ، **صدقةُ الفِطر صدقةٌ واجبةٌ في رمضانَ**، فرضَها النبيُّ ﷺ كما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكما جاء أيضًا من حديث أبي سعيد الخُدْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وصدقةُ الفطر فرضَها النبيُّ ﷺ منَ الطَّعام، في حديث أبي سعيد طعامًا، وفي حديث ابن عمر صاعًا من تمرٍ أو صاعًا من شعير.

يعني من الطعام الموجود في البلد: تمر، شعير -إذا كان هذا موجودًا، إذا كان الناسُ يَقْتَاتُونَ به-.

والتمرُ أصبح الآن مثل الفاكهة؛ الناس يَتَفَكَّهُونَ به الآن، فلا بأس بإخراجه، لكن الأفضل أن تُخرِجَ ما يَقْتَاتُ الناسُ به، كالأُرْزِ مثلًا، فغالبُ الناس يَقْتَاتُونَ به [الآن]، وهو المُقَدَّم عند الناس.

المُهِمُّ أَنْ تُخرِجَ صَاعًا منَ الطَّعام) [١].

(١) محاضرة: فقه الصيام.

ثَانِيًا:
عَلَى مَنْ تَجِبُ صَدَقَةُ الفِطْرِ؟

(تجبُ صدقة الفطر على مَن مَلَكَ هذا النِّصَابَ، أكثر من قُوتِ يومٍ وليلةٍ، إذا عنده قوتُ يومٍ وليلته فما زاد على ذلك إذًا فليُخرِج.

طيب واحد ليس عنده إلا نصف صاع في العائلة كلها، يُخرِج النصف صاع.

طيب، الفقير اليوم يا عم الشيخ، يأتي إليه أطنان! فهل يجب عليه هو أنْ يُخرِجَ؟!

نعم، يجب عليه أن يُخرِجَ ؛ لأن صدقة الفطر غير الزكاة، صدقةُ الفطرِ إنما هي منوطةٌ بالصيامِ يعني شهر رمضان، فتكُون طُهْرَة للصائم وطُعْمَة للمساكين، هو يأخذ ويُخْرِجُ عادي؛ لأنها واجبةٌ عليه طالما أنه ملكَ أكثر من قوتِ يومه وليلته) [1].

---

(١) محاضرة: فقه الصيام.

ثالثًا:

حُكْمُ إِخْرَاجِ صَدَقَةِ الْفِطْرِ مَالًا

(النبيُّ ﷺ عيَّن الطعامَ، فهل يَجُوزُ إخراجُ القيمةِ؟

ولهذا من [يوم] عشرين رمضان، أو من الخامس عشر من رمضان، الناسُ تسأل -بل من الآن- الناسُ تسأل: صدقةُ الفطرِ، بكم جُنَيْهٍ هذه السَّنَة؟!

أحدهم يقول: بسبعةِ جنيهات، وآخَر يقول: بثمانية جنيهاتٍ ونصف، وثالث يقول: بأربعة جنيهاتٍ..

لكنْ نقول: لا، هذا لا يَصِحُّ! لا يُجزِئُ إخراج القيمة؛ لأن النبي ﷺ فرضَ هذه الفريضة من جِنْسٍ مُعيَّن، والقاعدةُ أن العبادة إذا عُيِّنَ لها جنسٌ معينٌ فلا يجوز تجاوزه، فإنْ تجاوَزَهُ العبدُ لا يُجزِئ.

أسألكم سؤالًا: رجلٌ ذهبَ ليحجَّ إلى بيت الله الحرام، وفي يوم العيد عليه الهَدْي، وكان مُتمتِّعًا أو قارِنًا فذهبَ فأتى بمائة دجاجة! وذبحها، فهل يُجزِئ ذلك عنه؟!

الجواب: لا.

لِمَ؟!

لأنه ليس من الجنس الذي عُيِّن.

وما الجنسُ الذي عُيِّن في الهَدْيِ؟

بهيمةُ الأنعام؛ إبل، بقر، غنم، فلو ذبحَ غيرَ هذه لَمَا صحَّت. إذا عيَّن الشارعُ جنسًا انتهى الأمرُ.

رجلٌ جاءَ في الأضحية ويريد أنْ يُوسِّعَ على الناس، [يقول] أنا سأذبح الآن خروفًا وأوزِّعه على خمسة عشر شخصًا أو عشرين [فقط]؟!

[لا] أنا رَجُلٌ عندي مزرعةٌ، وقد وسَّعَ اللهُ عليَّ؛ [لذا] أنا سأذبح مزرعة البط هذه بعشرة آلاف جنيه، وكلُّ مسكينٍ يأخذُ بطةً!

المسكينُ طبعًا سيفرح بالبطة [لأنها] أحسن من قطعة اللحمة [التي تكفي شخصًا واحدًا فقط]؛ يُعطي الدَّبُّوسَةَ هنا، ويُعطي الوِرْكَ هنا، سيُوَزِّع، وقد يصنعُ مَأْدُبةً أيضًا!

هل هذه الأضحية تجزئ؟!

أبدًا لا تجزئ؛ لأنها ليست من بهيمة الأنعام.

فعلامَ إذا أتينا إلى صدقة الفطر أَخرجنا الخمسة جنيهات والسبعة جنيهات؟! لماذا؟! ألم يكن في عهدِ النبيِّ ﷺ نقودٌ؟! ما كان في عهدِ النبي مالٌ؟!

موجودٌ في عهدِ النبي الدينار والدرهم، فلماذا عَدَلَ إلى هذا؟

لحكمةٍ؛ حتى تَكُونَ ظاهرةً، لأن الفلوسَ أموالٌ باطنة، لكنْ أنتَ تحملُ نِصْفَ شِكارة أرزٍ على كتفكَ وماشي، وهذا يُقابِلُكَ برُبْعِ شِكارة كذا، وهذا يُقابِلُكَ بكذا، والشيخُ عبدالهادي حمَّلَ عربيةً ويوزِّع منها الأرزَ.. شعيرةٌ ظاهرة يَحصُل لها عِزَّةٌ وقوة.

لكنْ -يا شيخ- هناك شيءٌ يُعكِّر على هذا.

ما هو؟

إنَّ مصلحةَ الفقيرِ اليوم، يحتاج بنطلونًا لابنه، يحتاج يدفع له مصاريف الكتب، يحتاجُ كذا وكذا.. يعني يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا!

نقول: إن أعطيناه أرزًا ما ضيَّقنا عليه؛ نحن تعبَّدنا اللهُ بالإخراج، وإن شاءَ باعه واشترى بثمنه الذي يريده.

[يجادل قائلًا:] لا، قد يَخسر!

طيب، نحن سنتنزَّلُ معه في القول: طالما أنتَ حريصٌ على مصلحة الفقير بهذا الشكل، فخذه معكَ واشترِ له بنطلونًا وقميصًا حتى ولو كان ثمنهما بمائتي جنيه! طالما أنتَ حريص [بهذا الشكل].

فلو قلنا له ذلك، سيقول: لا، أنا عليَّ خمسة جنيهات ونصف فقط!!

إذًا اتركِ الأمرَ يا رَجُل، تعبَّدِ اللهَ، ولا داعي للجدل، تعبَّدِ اللهَ بإخراجِ الحَبِّ، وهو يبيع وسيفتح اللهُ عَزَّوَجَلَّ عليه.

الحمدُ لله، فإننا لا نُعارِض النصَّ بالعقل؛ لأن الشارعَ أدرى بالفائدة) [١].

---

(١) محاضرة: فقه الصيام.

رَابِعًا:

وَقْتُ إِخْرَاجِ صَدَقَةِ الفِطْرِ

(أمَّا عن وقتها؛ فهناك وقتٌ لصدقة الفطر جائزٌ، ووقتٌ مُستحَب.

أما الوقتُ المُستحَب: فمن صلاةِ الصبح إلى صلاة العيد، ولذلك يُستحب للإمام تأخيرُ صلاة العيد.

وأما الوقتُ الجائز: فقَبْل العيد بيومٍ أو يومين، على ما جاء في حديث ابن عمر عند البخاري.

هذا جائزٌ، وهذا مستحبٌ، فلا بأس إذا قلتَ: واللهِ الفقير يحتاجُ قَبْلها بيومٍ أو يومين حتى يَقْدِرَ أن يبيعَ أو كذا.

أنا [مُتَّفِقٌ] معكَ، المسألةُ جائزةٌ وأنتَ حرٌّ، أمَّا الوقتُ المُسْتَحَبُّ فَمِنْ صَلاةِ الصُّبحِ إلى صلاة العِيدِ، تُخرِجُ للفُقَراء وتُخرِجُ للمَسَاكِين) [1].

---

(١) محاضرة: فقه الصيام.

خَامِسًا:

حُكْمُ التَّوْكِيلِ فِي صَرْفِ صَدَقَةِ الْفِطْرِ

(طيب، ممكن أُخرِج فلوسًا للناس هنا في المسجد وهم يشترون لي الطعامَ [ويُوزِّعونه]؟

لا بأس أن تُوَكِّل الناس، أَخرِجِ الفلوس لكنْ هم يشترون طعامًا، يعني أن تُوَكِّلَ بالمالِ لا بأس بذلك) (١).

(١) محاضرة: فقه الصيام.

الفصل الثالث

ماذا بعد رمضان؟

أَوَّلًا:

عُبُودِيَّةٌ يَغْفَلُ عَنْهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَمَضَانَ

(أيها الأحبة المؤمنون والإخوة المسلمون، ها نحن في جمعتنا هذه التي هي آخرُ جُمَعِ هذا الشهر المبارك، والتي نودِّع فيها شهرنا الذي قَرُبَ على الرحيل، ولكلِّ شيء إذا ما تم نقصانُ، وهكذا الأشياء إلى زوال سواءً كانت من الطاعات أو غير الطاعات، أعمارًا أو غيرَ أعمارٍ، فكل ذلك إلى زوال وإلى فناء، ويبقى الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الحي القيوم.

أيها الأحبة، قارَبَ أن يمضي شهرُ الصيام والقيام، شهرُ الإطعام وتلاوة القرآن، الشهرُ الذي أقبلتِ الأُمة فيه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فعبَدَ فيه مَن عبَد، وأطعمَ فيه مَن أطعم، وصامَ فيه مَن صام، وتصدَّقَ فيه مَن تصدَّق وقامَ ليلَه.

أيها الأحبةُ، **والسُّنةُ الشرعية أنَّ الإنسانَ عند خِتامِ الطاعةِ يستغفرُ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ، فالاستغفارُ عبادة عظيمة جليلة يُؤمر بها العبد في ختام الطاعات دائمًا، وكأنه يقول: يا رب، ما عبدتك إلا لتوفيقك، وإن عبادتي لك لهي نعمةٌ عظيمة منكَ عليَّ، فعاملني برحمتك ولطفك وَجُودك، وتجاوزْ عن زللي وخطئي، فما من عبادة إلا وفيها من الزلل والخطإ ما فيها.

فيستغفرُ العبدُ ربَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أولًا: على تمام نعمة الله عَزَّوَجَلَّ عليه، وأنه لم يفعل ولم يقم من الأعمال بما يكافئ هذه النعمة، وثانيًا: أنه إذا كان قد حصل في الطاعة والعبادة تقصيرٌ فإنه يستغفر اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الاستغفارُ -أيها الأحبة- الذي أَمرنا الله عَزَّوَجَلَّ به في كتابه، وأمرَ النبي ﷺ به في سنته، وكان من هدي عباد الله الصالحين الذين مدحهم الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه.

كان من هديه ﷺ إذا فرغَ من الصلاة التي هي قرةُ عينه كما قال ﷺ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»، وكان النبي ﷺ في الصلاة أكملَ البشر؛ فلمْ يصلِّ لله عَزَّوَجَلَّ أكملُ من رسول الله ﷺ، ولمْ يقمْ لله عَزَّوَجَلَّ في الصلاةِ أكملُ من رسول الله ﷺ، صلاةٌ كاملة، كاملةٌ من كلِّ وجهٍ؛ كاملةٌ في أركانها وواجباتها، كاملة في سننها وخشوعها، كاملة في كل شيء.

ومع ذلك كان النبي ﷺ إذا فرغَ من الصلاة يقول -أول ما يقول-: «**أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ**»، ثلاثًا، فالسُّنة الاستغفار ثلاثًا، والنبي ﷺ لم يخرج من ذنب أو معصية، وإنما خرج ﷺ من أعظم مقامات العبودية، ومع ذلك كان يقول: «**أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ**».

وأمرَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِبَادَه الذين يُقْبِلُون عليه في عرفات والمزدلفة ومِنَى ويتلبَّسُون بركنٍ عظيمٍ من أركانِ الإسلام، هذا الركن العظيم وهو ركنُ الحج الذي فيه من المعاني الإيمانية ما لا يُحصى عن الاستيعاب، فرميُ الجمار، وطوافٌ بالبيت، وسعيٌ بين الصفا والمروة، وذبحُ الذبائح، وحلقُ الرؤوس، والمبيتُ في مزدلفة، والوقوف بعرفة، وطواف الوداع، عباداتٌ جليلة جدًا تجتمع في الحج، ومع ذلك أمرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالاستغفار: ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ**

﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [البقرة:٢٠٠]، وقبلَ ذلك ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [البقرة:١٩٩].

ففي ثنايا الحج والإنسانُ يتقلب من طاعةٍ إلى طاعة وينتقل من طاعة إلى طاعة إلا أنه يُلازِمُ الاستغفارَ.

ولعل قائلًا يقول: إن الاستغفار لا يكون إلا من الذنب إذا أخطأه الإنسان.

ونقولُ: إنما هذا المعنى بالنسبة لي ولك إذا كنا سطحيين في الفهم، أما هناك معنىً آخر وهو الذي يظهر للعابد لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا مَنَّ الله عليه بالعبادة وما توفيقه للعبادة إلا من الله، فيستشعر تقصيره عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حينئذٍ يقول: أستغفرُ الله.

أيها الأحبةُ، أليس الله عَزَّوَجَلَّ قد مدحَ عباده المتقين والمنفقين والقائمين، ثم قال: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ [آل عمران:١٧]، إنهم لمْ يخرجوا عن حرمات الله فينتهكوها ليلًا، ولمْ يستقبلوا إخوانهم المسلمين فيعتدون على الأعراض ليلًا حتى يحتاجوا إلى الاستغفار بالأسحار، وإنما هُم قومٌ لمَّا جاء السَّحَر قاموا من مضاجعهم، فنصبوا أقدامهم، تلوا آياتِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بكوا بكاءً شديدًا وهم يقرءون ويصلون، ثم يختمون تلك العبادة العظيمة الجليلة، وهذا الزمن من العبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهم ينصبون أقدامهم من الأسحار لرب العالمين، بالاستغفارِ.

﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ [آل عمران:١٧].

لذنوبٍ اقترفوها؟! أبدًا.

لمعاصٍ انتهكوها؟! أبدًا.

لحرماتٍ، فجروا بها؟! أبدًا، وإنما يقومون الليل، ويختمون قيام الليل بالاستغفار، لماذا؟ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قد حباهم بنعمةٍ عظيمة؛ غيرُهم ينام وهم يقومون، غيرُهم يأنس بفراشه وهم يهرعون إلى ربهم، غيرُهم يأنس بزوجه وأولاده ونومه وهؤلاء يأنسونَ بالوقوف بين يدي رب العالمين.

أليست تلك نعمةٌ تستحق الشكرَ، وأيُّ شكرٍ يا تُرى؟! شكرٌ نعجزُ عنه إلا أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَبِلَ منا القليل من ذلك، لهذا فالعبدُ يستغفر ربه -وإن كان عابدًا لربه-.

بل بالعكسِ كُلمَّا ارتقَى الإنسانُ في مقاماتِ العِبادة استشعرَ فقرَه لربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، واستشعرَ مِنَّةَ اللهِ، فإنَّ الهداية ليست أمرًا هينًا، وربي ليست أمرًا هينًا، الهدايةُ لا تُكتسب بذكاء، ولا بِنَسَبٍ، ولا بِحَسَبٍ، والاستقامةُ لا تَكُونُ من جامعة كذا أو من كُلِّيَّةِ كذا، إنما الاستقامة والهداية شيء يقذفه الله عَزَّوَجَلَّ في قلبِ عبده الذي اطلع عليه، فعلمَ استحقاقه لهذا الخير وتلك الهداية، فمنَّ عليه بها ووفقه لها ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الطور:٢٧].

يستشعر الإنسان ذلك كله فيستغفر اللهَ.

ولهذا أسألكم سؤالًا: أعظمُ النِّعم الدينية من الهدايةِ والاستقامة كانت لَمن في هذه الأُمة؟

لرسولِ اللهِ ﷺ.

كَمْ ذنوبه ﷺ؟! كم خطاياه؟! كم مَرَّةً زَنَى؟! كم مَرَّةً قتلَ؟! كم مَرَّةً تعاملَ بالرِّبا؟! كم مَرَّةً كذبَ في حديثه؟! كم مَرَّةً افترَى على خَلْقِ الله؟! كم مَرَّةً ؟!

ولا مَرَّة.

وكم هي خطايانا؟ وكم هي ذنوبنا؟ وكم هي معاصينا؟ ومع ذلك انظروا إلى الفارق العظيم بيننا وبين النبي ﷺ في عبوديةٍ واحدة؛ الاستغفار، جاء في حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي، قال: كنا نَعُدُّ لرسولِ الله ﷺ في المجلسِ الواحدِ أكثرَ من مائة مرة يقول: «**رَبِّ اِغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**».

«**رَبِّ اِغْفِرْ لِي**». النبيُّ ﷺ «**رَبِّ اِغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»، في المجلس الواحد أكثر من مائة مرة، وكأنَّ النبيَّ ﷺ حُمِّلَ بذنوبٍ لا قِبَلَ له بها!

لا وربِّي إنه المقامُ الرفيع من العبودية، إنه عبدٌ نبيٌّ رسولٌ، يستغفر ربًا رحيمًا مَنَّ عليه بأعظم النعم، وهي الرسالة والنبوة.

وجاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري قال: قال ﷺ: «**واللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مَرَّةٍ**».

في اليوم الواحد أكثر من مائة مرة، يقول النبي ﷺ: «**أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ**». كيف لا؟ ولقد أمره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بعدما فتحَ عليه، وبعدما عاد إلى مكة، وفُتحت مكة له، وعاد النبي ﷺ كما وعده

ربه من قبل ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح:٢٧،٢٨].

لمَّا فتحَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ له مكة، وعاد النبي ﷺ وأصحابه، ودخل النبي ﷺ مكة في عزة الإسلام مطأطئًا رأسه حتى وصلت لحيته إلى أصلِ رَحْلِه ﷺ، ودخل مكة وطهَّرها من أصنامها وأوثانها وأدرانها، وهو يتلو قولَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١].

بعد هذا كلِّه ودخول الناس في دِين الله أفواجًا، وأتى اللهُ عَزَّوَجَلَّ بصناديد قريش وعلى رأسهم أبو سفيان، أتى إلى النبي ﷺ فأعلن إسلامه بين يديه، ولم يجد النبي ﷺ بعدها معاندة ولا معارضة ولا عنادًا، انتهت قريش، انتهت حلقة الصراع، انتهت حلقة العناد، خرج النبي ﷺ من مكة طريدًا وها هو اليوم يعود في كتائب الإسلام كتيبةً كتيبةً؛ تلك كتيبةُ المهاجرين والأنصار، وتلك كتيبة كذا كذا، وتلك كتيبة كذا وكذا، حتى قال أبو سفيان -وهو ينظر إلى كتائب الإسلام، قال للعباس-: لقد بلغَ مُلْكُ ابن أخيك مبلغًا عظيمًا، فقال له العباس: لا واللهِ إنها النبوة.

وليستِ المُلْك، إنها النبوة، أيُّ مَلِكٍ يُمْكِنُ أنْ يُقِيمَ دولةً في هذا الوقت القصير الذي ما قامت دولةٌ على الإطلاق في بلدٍ من البلدان وفي ناحية من

النواحي في هذه المدة القصيرة التي بدأها النبي ﷺ وحده، ومع ذلك بنى الله عَزَّوَجَلَّ به دولة الإسلام.

فَرْقٌ بين موقفين: بين موقفٍ يخرجُ فيه النبيُّ ﷺ مستخفيًا من قريش، تبذل قريش إبلها ونوقها لمَن يأتي برأسِ رسول الله ﷺ، ويختبأ النبيُّ ﷺ في غارٍ، لا يجد مَن يمنعه، ولا يجد مَن يأوي إليه، أقاربه تنكروا له؛ عمُّه قام على رأسه يقول في كل مجلس: تبًا لك يا محمد، ألهذا جمعتنا؟! ويخرج النبي ﷺ يرافقه صاحبه أبو بكر حتى تمت رحلة الهجرة.

وبين موقفٍ آخر يَعوُد النبي ﷺ حاملًا تلك النعمة العظيمة: إنها النبوة، وبعدها ينزل قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر:١]، جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [النصر:٢]، ما أعظمَ النعمة حين يرى رسول الله ﷺ الناس أفواجًا يُقبِلون إليه ويأتون إليه من كل حَدَبٍ وصَوْب، أما قال ربكم سبحانه: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح:٢٧]؟

﴿ءَامِنِينَ﴾ [الفتح:٢٧]، ولهذا في الحديبية عندما قالوا: يا رسولَ الله، ألَمْ تعدنا؟ ألم تقل كذا وكذا؟ وقد رأيتَ الرؤيا، فقال النبي ﷺ: «**وَهَلْ وَعَدْتُكُمْ أَنَّكُمْ دَاخِلُونَ هَذَا العَامَ؟ فَإِنَّكُمْ دَاخِلُوهُ وَمُطَوَّفُونَ بِهِ -إِنْ شَاءَ اللهُ-**».

دخلوه وطافوا به، أين الذين كانوا يضعون القاذورات على ظهرِ رسول الله؟ أين الذين كانوا يسخرون من رسول الله؟ أين الذين كانوا يحاكمون رسول

الله إلى صلاة يصليها في جوف الكعبة؟ أين الذين منعوا رسول الله من الصلاة، وقد أباحوا مكة لكل أحد من أهل مكة أو من غيرها إلا رسول الله ﷺ؟ أين هم الآن؟ والنبي ﷺ يطوف بالبيت، ويطهِّر البيت من أصنامه وأدرانه، ويدخل الكعبة ﷺ فيجد صورة لإبراهم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام، فيقول النبي صلى الله عليه سلم: «**واللهِ مَا اِسْتَقْسَمَا بِالأَزْلَامِ قَطُّ**».

أيُّ نَصْرٍ أعظمُ من هذا؟ وأيُّ فَتْحٍ أعظم من هذا؟ حشودٌ وجنود، رجالٌ ورؤوس أتتِ النبيَّ ﷺ تعلنُ إسلامَها، حينها وبعد هذا كله، وبعد كمال النعمة وكمال المنة ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر:٣].

جاء في الصحيح من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ كان يُكثِرُ أنْ يقولَ قبلَ موتِه: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**».

قبل موته انشغل ﷺ بما أمره الله عَزَّوَجَلَّ به: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ [النصر:٣]، «**أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**»، ﴿ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر:٣] رحيمًا.

أرأيتم -أيها الأحبة- أنَّ الاستغفارَ ليس سهلًا، وأن الاستغفار ليس عبوديةَ العَوام! إنما الاستغفارُ عبوديةُ مَن تقرَّب إلى ربه، ومَن ارتقى إلى ربه، وكلما عَلَوْتَ رتبةً ومقامًا في العبودية كلما شعرتَ بحاجتك إلى الاستغفار، إلى الإقبال إلى الله عَزَّوَجَلَّ، إلى العودة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

أيها الأحبة، إن هذا النوع من الاستغفار نوعٌ رفيع نحن في حاجةٍ إليه اليوم وإن اعتكفنا، نحن في حاجةٍ إليه اليوم وإن صمنا إيمانًا واحتسابًا إن شاء الله، نحن في حاجةٍ إليه اليوم وإن أطعمنا الطعامَ، نحن في حاجةٍ إليه اليوم وإن أنفقنا الأموالَ، نحن في حاجةٍ إليه اليوم وإن نصبنا الأقدامَ بالليل، نحن في حاجةٍ إليه في ختام هذه العبادة العظيمة: الصيام، الاعتكاف، تلاوة القرآن، إطعام الطعام، كم كانت الختمات، وكم كانت الركعات والصلوات والقيام.

نحن في حاجةٍ اليوم أن نعود إلى ربنا قائلين: أستغفرُ الله، أستغفر الله، أستغفر الله) (١).

(١) خُطبة: كُنْ ربانيًّا، ولا تَكُنْ رمضانيًّا.

ثانيًا:

هَلْ قُبِلَ صِيَامُكَ أَمْ لَا؟

(أيها الأحبةُ، ومن علاماتِ قبول الحسنات أن يوفِّق الله عَزَّوَجَلَّ العبدَ لمثلها.

أيها الحبيب، هل تريدُ أنْ تَعْرِفَ أنَّ صيامَكَ قُبِلَ أَمْ لا؟ أن قيامك قُبل أم لا؟ أن تلاوتك للقرآنِ قُبلت أم لا؟ كيف نعرف هذا؟ كلنا في حاجة إلى هذا.

أقول لك: إذا أردتَ أن تعرفَ فانظر حالك بعد رمضان، فانظر قلبك اليوم قبل الخروج من هذا المعتكف وقبل الخروج من هذا المسجد وقبل الخروج من هذا الشهر، أأنتَ في شوقٍ إلى الطاعات؟ أأنتَ في ألمٍ أنْ تفارقَ هذا الجَمْعَ المبارك وهذا الجو الصافي من العبودية؟

واللهِ إن الشوق إلى أحبةٍ قاموا، وإلى زمنٍ صفا فيه القلبُ وخلا بربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إن الشوق لهذا أعظمُ من الشوق للزوجات والأبناء والأولاد والضَّيْعَات والتجارات -لَمن كان يعقل-.

أيها الأحبة عرفتم فالزموا، كنتم فاستمروا، صمتم فواصلا، أنفقتم فواصلوا ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ ﴾ [النحل:٩٢].

أرأيتم أتعبَ من هذه المرأة وأشقَّ من هذه المرأة التي بَنَتْ غزلها، وغزلت غزلها، وأتقنته أيما إتقانٍ حتى إذا فرغتْ مما تريد عادتْ تنقضه خيطًا خيطًا؟ لمْ تستفد شيئًا من تعبها، ولمْ تستفد شيئًا مما صنعتْ، فعادتْ تنقضه خيطًا خيطًا.

وهذا مَثَلٌ يضربه اللهُ عَزَّوَجَلَّ، مَثَلٌ يضربه اللهُ لمَن عَبَدَ فانصرفَ، ولمَن عَرَفَ فغَزَلَ، ولمَن تلذَّذَ ففقدَ تلك اللذَّة ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ ﴾ [النحل:٩٢].

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحديد:١٦] دومًا، أبدًا ﴿ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد:١٦]، وألا يقتصرَ ذلك على أزمانٍ دون أزمان، أماكن دون أماكن، عبادات دون عبادات ﴿ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحديد:١٦].

الذين أُوتوا الكتاب من قبل كانوا على الطاعات، لكن طال عليهم الأمد، وطال بهم الزمان فماذا صنعوا؟ قست قلوبهم، تركوا العبادات، تركوا الطاعات، وعادوا إلى ما كانوا يفعلون.

لا تكونوا كالذين أوتوا الكتابَ عبادةً وطاعةً، لكن لمَّا طال عليهم الأمد قست قلوبهم ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد:١٦] (١).

---

(١) خُطبة: كُنْ ربانيًّا، ولا تكُنْ رمضانيًّا.

ثَالِثًا:

هَلْ تَغَيَّرَ حَالُكَ وَازْدَادَتْ طَاعَتُكَ بَعْدَ رَمَضَانَ أَمْ لَا؟

(أيها الأحبةُ، وبعد هذه المدرسة الإيمانية والمحضن الإيماني الذي عاشته الأمةُ في هذا الشهر المبارك، نستأنف دروسنا إن شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، سائلين المولى عَزَّوَجَلَّ أن يتقبل منا ومنكم صيامنا وقيامنا، وأن يجعلنا وإياكم ممن أدرك ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا.

ولا شك -أيها الأحبة- أن هذه المحطة التي مرت معنا وكانت مَدرسةً مكثفةً حَوَتْ صنوف العبادات والطاعات، ولا شك ولا ريب أن الإنسانَ يخرج من هذه المدارسِ مستفيدًا ومستزيدًا، ولهذا تعيَّن على كل واحدٍ منا أن يتفقد نفسه وأن يتفقد حاله بعد هذا الشهرِ وبعد نهاية هذه المدرسة؛ هل تغيَّر حالُه؟ تغيَّر مسلكُه، ونشطَ في عبادته؟ وأصبح سيرُه إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ متغيرًا، في ازديادٍ وإقبالٍ، أم لا؟

فإنْ كانت الأولى فليحمد الله؛ فتلك البشرى العاجلة في قبول عمله، وإن كانت الثانية من التباطؤِ وعدم الشعور بلذةٍ في القلبِ وعدم تغيُّرٍ في السلوك والمنهج في السير إلى الله، فليتداركْ نفسَه فإنه على خطرٍ عظيمٍ، بعدَ هذه المدرسة إنْ لمْ يزدد منها تقوى وإقبالًا على الله، فليراجع نفسه فإن فيه خللًا عظيمًا.

لأن السلفَ كانوا يعتبرون العلامةَ الرئيسة التي يتضح لهم بها قبول العمل من عدمه -العاجلة السريعة- هي: التوفيقُ للحسنةِ بعد رمضان، وللطاعة بعد

رمضان، فإذا وجدَ الإنسان نفسه مقبلًا مستزيدًا من الطاعات، يستشعر اللذة فيها، فيُتْبِعُ الصيامَ بالصيام، ويُتْبِعُ القيام بالقيام ويُتْبِعُ النفقة بالنفقة، إنْ كان كذلك فتلك عاجل بشرى، وإن كانت الأخرى فإن هذا أمرٌ محزنٌ.

لهذا كان السلفُ يهتمون رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ بقبول العمل أكثر من العمل، فإن العمل قد يَصْغُر في حجمه لكن يَعْظُم في قدره عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا قَبِلَ اللهُ من العبد، ولهذا قال بعض السلف: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدةً واحدةً لكان أحب إليَّ من الدنيا وما فيها؛ ذلك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧].

قال عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كونوا على قبول العمل أشدَّ اهتمامًا منكم على العملِ.

العملُ نفسُه يكون الإنسانُ مهتمًا بالقبول، ويحاول أنْ يُقْبَل عملُه أكثرَ من اهتمامه بالعمل نفسِه.

ولهذا قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا للنبي ﷺ في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون:٦٠]، قالت: يا رسول الله، هم الزناة، الذين يشربون الخمرَ، ويسرقون، ويفعلون كذا وكذا؟ يعني من المعاصي.

فقال النبي ﷺ: «**لَا، إِنَّمَا هُمْ الَّذِينَ يُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَخَافُونَ أَلَّا يَتَقَبَّلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْهُمْ**».

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ [المؤمنون:٦٠]؛ يعني من الأعمال الصالحة، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠]؛ خائفةٌ ألا يُقبل منهم هذا ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون:٦٠].

هذا كان هَدْيَ سلفِنا الصَّالح)[١].

(١) محاضرة: وقفةٌ مع طَلبةِ العِلم بعد رمضان.

رَابِعًا:

إِنْ كَانَ قَدِ انْتَهَى رَمَضَانُ فَإِنَّ التَّعَبُّدَ لَمْ يَنْتَهِ

(وأنتم تعلمون حالَ سلفنا الصالح وكيف كانوا يزدادون في إقبالهم على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في رمضان، لكنهم كانوا يواصلون العبادة والطاعة، وكلُّ ما تقرؤونه عن السلف الصالح في الاجتهاد في العبادة والطاعة ليس في رمضانَ فقط كما نعتاد عندنا -للأسف الشديد-، إنما هي سلسلةٌ تكون طوال العام لكن إذا جاءت مواسم الطاعة استُغلَّتْ، لكنهم كانوا على هذه الطاعة طوال العام كلِّه.

وذُكر عن النبي ﷺ -نفْسِه- ما يكون فيه شحذًا للهمم، مع أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو صاحب المقام المحمود ولواء الحمد يوم القيامة، ومع ذلك يقوم ﷺ حتى تتفطر قدماه؛ يعني من طول القيام تتشقق، تتشقق قدماه من طول القيام..

وقام ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلفه وهو حبرٌ من أحبار هذه الأمة، وعَلَمٌ من أعلامها، وعالم من علمائها، تربى على مائدة النبوة، هو المجاهِد؛ المجاهد بالقرآن، ومع ذلك قام ليلةً خلف النبي ﷺ قيامًا طويلًا حتى قال: حتى هممتُ بأمرِ سوء، قيل له: ما هممتَ به؟ قال: أنْ أجلس وأدعه ﷺ.

من طول قيامه ﷺ لم يتحمل ابن مسعود، همَّ أنْ يجلسَ ويدعَ النبي ﷺ، وعلى هذا سارَ الصحابةُ.

أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقسِّمُ ليله أثلاثًا؛ ثلثًا لنفسه، وثلثًا لأهله، وثلثًا لخادمه.

وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لرافعِ بن خديج: إنْ نمتُ بالنهار خفتُ أن تضيعَ الرعية، وإنْ نمتُ بالليل خفتُ أن تضيعَ نفسي، فكيف لي بالنوم في هاتين الساعتين؟!

يقول مسروق رَحِمَهُ اللَّهُ: قال لي رجلٌ من أهل مكة: هذا مقامُ أخيكَ تميم بن أوسٍ الداريّ، قام ليلةً بآيةٍ من كتاب الله، يرددها حتى أصبح ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ [الجاثية:٢١]. قال: حتى أصبحَ أو كاد أن يُصْبِحَ، بآيةٍ واحدة يرددها.

يقول: هذا مقام أخيك تميم، قام ليلةً حتى أصبح أو كاد أن يصبح، يردد آيةً واحدة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

فعلى هذا كان أصحابُ النبي ﷺ، عباسُ بن بِشر يوم أن كان يحرس رسول الله ﷺ ومعه عمار بن ياسر، ورُمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى سال الدمُ منه، فأفزع ذلك عمارًا، فقال له عمار -بعدما فرغَ من الصلاة-: يرحمك اللهُ، لمَ لمْ توقظني؟! قال: كنتُ أقرأ سورة من كتاب الله فخشيتُ أن أقطعها.

خشيتُ أن أقطع هذه السورة، وتحمَّلَ هذا حتى فرغَ من سورته.

تلك اللذة في الطاعة لمْ تكن في رمضان فحسب، وإنما هي مع هؤلاء الصحب ومَن سار على نهجهم طوال عمرهم؛ لأنه إن كان قد انتهى رمضان فإن التعبد لم ينتهِ [١].

(١) محاضرة: وقفةٌ مع طَلبةِ العِلم بعد رمضان.

خَامِسًا:
الْعُبُودِيَّةُ وَظِيفَةُ الْعُمْرِ

(فالعبوديةُ وظيفةُ العُمْرِ، ليست وظيفةَ مواسم، نعم العبدُ الكيس اللبيب الفطن هو الذي يستغل المواسم، لكن هل يتوقف عندها؟! أبدًا إنما يستزيد منها، من هذه المحطة الإيمانية لمَا بعدها.

فالعبوديةُ وظيفة العمر، ما تنتهي العبوديةُ أبدًا في لحظة من لحظات حياة الإنسان حتى تخرج روحُه من جسده ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر:٩٩].

وعلى هذا سارَ التابعون رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ؛ مَسْرُوقٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حَجَّ. قال أصحابُه: فما ماتَ إلا ساجدًا.

ما ماتَ مسروقٌ إلا ساجدًا في حَجِّه.

الأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمَّا دخلتِ امرأةٌ على امرأته، ونظرتْ إلى سجادة الشيخ فوجدتْ بَلَلًا عظيمًا بها، قالتْ لامرأةِ الأوزاعي: ما يمنعكِ أن تمنعي الصبي من أن يَبُولَ على سجادة الشيخ؟! فقالت لها: ليس هذا بَوْلَ الصَّبِي، وإنما هي دُمُوعُ الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

دُمُوعُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وثَابِتٌ البُناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تلذُّذِه بالطَّاعة والعِبَادة يقول -وهو يدعو ربه-: اللَّهم إنْ كنتَ أعطيتَ الصَّلاة أحدًا في قبره، فأعطنِ الصلاةَ في قبري.

إنْ أجزتَ لأحدٍ وإنْ أعطيتَ لأحدٍ الصلاةَ في قبره؛ أنْ يصلي في قبره، فأعطنِ الصلاة في قبري.

وأُوَيْس الْقَرَنِي وهو سيدٌ من سادات التابعين، أخبَر النبي ﷺ باسمه، وهذا فضلٌ عظيمٌ جدًّا. يقول أويسٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأعبدنَّ اللهَ في الأرض كما تعبده الملائكةُ في السماء) (١).

(أيها الأحبةُ، إنَّ العبوديةَ ليستَ وظيفةَ رمضان ولا شعبان ولا شوال، إنما العبودية وظيفة العمر، ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ ﴾ [الحجر:٩٩] الغائية هذه ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر:٩٩].

وما اليقين؟ إنه الموتُ.

هل توقَّفَ النبي ﷺ عن الصلاة قبل أن يموت؟ هل توقف النبي ﷺ عن العمل بهذا الدِّين قبل أن يموت؟ هل أخذ النبي ﷺ إجازة قبل أن يموت بسنةٍ أو بسنتين؟ أو هو ﷺ بأبي هو وأمي كما جاء في الصحيحين لمَّا أُصيب بالحمى في آخر حياته، وقد اشتدت عليه حتى كان ﷺ يقول: «**أَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتَهُنَّ؛ لَعَلِيَّ أَخْرُجُ إِلَى النَّاسِ أَعْهَدُ إِلَيْهِمْ**».

والنبي ﷺ يقوم ويريد أن يمشي ويأتي المسجد، فالصحابة ينتظرونه، والنبي ﷺ يَعلم ألمَ فراقه لأمته، ويريد ﷺ أن يشرح صدورهم بقربه، ولكنه يُغشى عليه ﷺ، وقالت عائشة: حتى خرج النبي ﷺ إلى المسجد بين عباس

---

(١) محاضرة: وقفةٌ مع طَلبةِ العِلم بعد رمضان.

ورجلٍ آخر، خرجَ النبيُّ ﷺ ووجد الناس يصلون، فوقف بجوار أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فصلى أبو بكر بصلاة رسول الله ﷺ، وصلى الناس بصلاة أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.. إلى آخرِ أنفاسِه.

بل هو ﷺ الذي لا يريد أن يحرم الأمة من النظر إليه، جاء في الصحيح من حديث أنس أن النبي ﷺ في آخر لقاءٍ في يومِ موتِه ﷺ لَمَّا كان أبو بكر يصلي بالناس، وقد أمره ﷺ أنْ يصلي بالناس، وقال: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»، خرج النبي ﷺ على الصحابة وهم يصلون، ثم رفعَ سِتْرَ حجرته ﷺ، قال أنس: فنظرنا إليه ﷺ، ووالله كأن وجهه ورقةُ مصحفٍ، فخفنا أن نُفتن؛ يعني أن نخرج من الصلاة وأن نأتي رسول الله ﷺ، فما أمسى هذا اليوم إلا وقد ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ.

لا نقول -كما تقول الصوفية-: إنَّ العبدَ إذا ترقى في العبودية لا يزال يترقى حتى يصلَ إلى وقتٍ يُرفَع عنه التكليفُ؛ فلا صلاةَ ولا صيام ولا زكاة!

إنها مرحلةُ الفناء المزعومة التي يزعمها الصوفية، وأن العبدَ قد يصل إلى دركاتٍ لا يَعْبُدُ ربَّه فيها؛ لأنه تجاوَزَ مسألةَ العبودية، وأصبح الآن بينه وبين الله عَزَّوَجَلَّ قد رُفع التكليف، فلا تكليف!

وهذه رُتْبَة بَلِيَّة، رتبةُ إبليس الذي عصا ربه؛ أنْ يسجدَ له، وليست رتبةَ رسول الله الذي واصلَ الطاعة إلى آخِر أنفاسه ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر:٩٩]) (١).

(١) خُطبة: كنْ ربانيًّا، ولا تكنْ رمضانيًّا.

سَادِسًا:

مَوَاسِمُ الطَّاعَاتِ لَا تَنْتَهِي

(ولئن كان انتهى موسم الطاعة المخصوص في رمضان فإن مواسم الطاعة لا تنقضي؛ فمعك كل ليلة موسمٌ من مواسم الطاعة حين ينزل ربنا -سبحانه وجل في علاه وتقدَّس اسمه- إلى السماء الدنيا ينادي عباده: هل من مستغفرٍ فأغفر له، هل من مستتيبٍ فأتوب عليه؟ هل من كذا؟ هل من كذا؟

هذا كلُّ ليلةٍ.. موسمٌ.. مناجاة مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأين أنتَ منه؟!

ثم أيضًا هذا الموسم العظيم الذي بدأَ بهلالِ شوال وهو موسم الحج، فإن أشهر الحج تبدأ من هلال شوال، أشهرُ الحج هي: شوال، وذو القعدة، والعشرُ الأُوَل من ذي الحجة، هذه أيام الحج، موسمٌ أيضًا يتضمنُ ركنًا ثانيًا من أركان الإسلام وهو الحج إلى بيتِ الله الحرام.

وإنْ كنتَ حُرمتَ من هذا الموسمِ -موسمِ الحج- فلا تحرم نفسك من الفضائل التي أودعها الله فيه، من عَشْرِ ذي الحجة واغتنام التعبُّد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيها، ف «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ أَحَبُّ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِنْ هَذِهِ الْعَشْرِ**»؛ يعني: عشرَ ذي الحجة.

قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «**وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**».

أرأيتم -أيها الأحبة- كيف أن مواسم الطاعة لا تنتهي؟ وكيف أن الإنسان إذا وقفَ مع الفضائلِ.. وهذا من فضلِ الله على هذه الأمة، من فضلِ الله على هذه الأمة أنْ جمعَ لها فضائلَ في أوقات قصيرة وأزمة قصيرة جدًا، ولكن يستطيعُ الإنسانُ -إن استغل هذا- أن يترقى في مراقي العبودية، فيَقْصُر عليه عمُره وجهدُه، ويَكثُر أجرُه وثوابُه.

ليلةٌ مضتْ معنا في العشر الأخير التعبُّد لله فيها خيرٌ من أَلْفِ شهر. وهذه عشرٌ ما يَعدِلُ العاملَ فيها أحدٌ إلا رجلٌ خرجَ بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيءٍ.

فناهيكم بالفضلِ في هذه العشر، فنسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -بمنه وكرمه- أنْ يجمعنا -وإياكم- دائمًا على طاعته، وأن يرزقنا -وإياكم- الإخلاصَ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في العلم والتعلم والتعبد، وأن يجعل حياتنا كلها قائمة على التوحيد وعلى السنة، وأن يجعل التقاءنا واجتماعنا عليه، وأن يجعلنا -وإياكم- ممن قال فيهم النبي ﷺ: «**وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَافْتَرَقَا عَلَيْهِ**»[1].

---

(١) محاضرة: وقفةٌ مع طلبةِ العِلم بعد رمضان.

سَابِعًا:

فَوَائِدُ الْمُوَاظَبَةِ عَلَى الطَّاعَةِ

(أيها الأحبة، من فوائد الاستمرار على الطاعة والديمومة على الطاعة فائدةٌ قد تغفلون عنها وإن كنتم تعلمونها حينما سأقول، لكن قلتُ: تغفلون لا تجهلون.

أمَا تعلم أن العبد إذا واظبَ على الطاعة واستمر عليها فطرأ له طارئٌ من مرضٍ فأقعده، من مرضٍ فمنعه الصوم، من مرضٍ فمنعه قيام الليل، من فقرٍ فمنعه النفقة أنَّ اللهَ يُجرِي عليه عملَه فيُكتب له ما كان يفعله صحيحًا مقيمًا، فقد جاء في حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ**».

مَرِضَ أو سافرَ، ونحن كلُّنا مُعرَّضون إلى هذا؛ قد يَطُول بالإنسان عمره فلا يستطيع الصيام، ولا رمضان يُطعِم، ولا يستطيع أن يقوم مع الناس بالليل، وقد لا يستطيع أن يقرأ القرآن؛ لأنه عَمِيَ وفقدَ بصرَه.. يَجرِي عليك عملُكَ، يا مَن كنتَ تقرأ القرآن فتختم الختمة تلو الختمة بعينين صحيحتين مبصرتين وقد حُرمتَ عيناك، أبشرْ؛ فإنك إن فقدت بصرك عند الستين أو الخمسين جرى عليك ما كنتَ تفعل.

لكن تفعل بماذا؟ تفعل بديمومة، تفعل باستمرار، كنتَ تجعل لنفسك مثلًا وِردًا تختم فيه القرآن كل أسبوع أو كل عشرة أيام، فيَجرِي عليك أجرُكَ، كنتَ تصوم الاثنين والخميس والآن [أنتَ] مريضٌ لا تستطيع، لكَ كل يوم اثنين

وخميس أجرٌ مع الصائمين، «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ**».

كانوا معنا! كيف كانوا مع الرسول؟! رجالٌ في المدينة ما خرجوا إلى الغزو، وأصحابٌ مع النبي يغزون في شدةِ الحر، يقول النبي ﷺ: «**مَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا وَنَزَلْتُمْ، وَلَا ارْتَقَيْتُمْ جَبَلًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ**». كانوا معكم.. كانوا معكم وهم بالمدينة! «**حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»، ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة:٩٢].

عَلِمَ اللهُ صِدْقَ نواياهم، فأعطاهم أجرَ هؤلاء الغُزاة كذلك.

إذا واظبتَ على العمل، وكان لك وِردٌ فواظبتَ عليه؛ من صيامٍ وقيامٍ وتلاوةِ القرآن، حتى إذا كبرت سنك فمرضتَ فلمْ تستطع القيام بما كنتَ تقومُ به، فاللهُ عَزَّوَجَلَّ أرحمُ بك منك؛ يُجرِي عليك عملَكَ الذي كنتَ تعمل «**إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ كَتَبَ اللهُ لَهُ مَا كَانَ يَفْعَلَهُ صَحِيحًا مُقِيمًا**».

هذه الفائدة أرجو أن نتدبرها، يا أخي أتريد أن يَجرِي عليك عملُك في لحظاتِ الضعف؟ أتريد أن يجري عليك عملك في وقتٍ لا يمكن أن تعمل فيه؟ واظبِ الآن، اصدُقْ مع الله الآن، وإن صَدَقْتَ مع الله عَزَّوَجَلَّ وواظبتَ وواصلتَ كتبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لك [أجرَ ما كنتَ تفعله وأنتَ صحيحٌ]، بل إن عِبادًا تجري عليهم أعمالهم بعد المماتِ، أعمالٌ عملوها؛ من علمٍ نافعٍ تركوه، ومن صدقةٍ جارية أحدثوها.

إن الفضائل عظيمة لكنّ بوابتها الإقبالُ، الاستمرار، الديمومة.

إنَّ العبوديةَ وظيفةُ العمرِ، وليست وظيفةَ الشهرِ، وليست وظيفةَ السَّنَةِ، إنما العبوديةُ وظيفةُ العمر ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر:٩٩].

ومن فوائدِ الاستمرار على العبادة: أنها سببٌ في محبة الله لك.

أنْ يُحِبَّكَ اللهُ، بكم؟! ثمنُ محبةِ الله لك، كم؟! قال ﷺ في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري: «**قَالَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: **وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ**».

لا يزال: فعلٌ مضارعٌ دالٌّ على الاستمرارِ، «**لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي عَلَيْهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**».

أيها الأحبة، كان النبي ﷺ إذا عمل عملًا أثبته؛ فجاءَ في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النبي ﷺ: إذا نامَ عن حِزْبه بالليل -أو عن أي شيءٍ- صلَّاه ﷺ بين الصبحِ والظهرِ.

وقال ﷺ: «**مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ بِاللَّيْلِ -أو عن أي شيء- صَلَّاهُ بَيْنَ الصُّبْحِ وَالظُّهْرِ، كَتَبَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **لَهُ قِيَامَ اللَّيْلِ**». يعني: كما لو كان قد قامه بالليل.

وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول -كما جاء الحديث عند مسلم أيضًا- بأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك، كان إذا نام عن حزبه صلَّاه بالليل.

وتقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: صلَّى النبيُّ ﷺ بين الصبح والظهر ثنتي عشرة ركعة.

يعني مَن كان يصلي [وِرْدَهُ] بالليل إحدى عشرة ركعة وقضاه بالنهار، صلَّى ثنتي عشرة ركعة؛ أي يَشفع عادته، فإن كان يعتاد سَبْعَ ركعات يصلي ثمانية، وإن كان يعتاد خمس ركعات يصلي ستة، إن كان يعتاد تسع ركعات يصلي عشرة، إن كان يعتاد إحدى عشرة ركعة يصلي ثنتي عشرة ركعة.

كلُّ ذلك دليلٌ على أن العبد إذا فعل فعلًا وإذا عمل عملًا لا ينبغي أن يتركه) (١).

(١) خُطبة: كُنْ ربانيًّا، ولا تَكُنْ رمضانيًّا.

ثَامِنًا:

رَاجِعْ نَفْسَكَ، وَجَدِّدْ إِيمَانَكَ

(فالشاهدُ من هذا كله -أيها الأحبة- أننا بعد هذه المدرسة الإيمانية التي قد يكون لتكررها في نفوسنا -وللأسف الشديد- نوعُ بلادة؛ أنّ الإنسان يُصاب بالبلادة؛ يأتي رمضان ويخرج رمضان، [ذهبَ] رمضانُ هذا [وذهبَ] رمضانُ الماضي.. وهكذا ما يلتفت، ما أصبح الإنسان يستشعر قيمة هذه المحطة الإيمانية.

وهذا -وللأسف الشديد- نقطةُ ضعفٍ في سيرك إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بالعكس ولو تكرر عليك رمضان سنونَ فهذا من فضلِ الله عَزَّوَجَلَّ، ينبغي أن يتجدد إيمانك، وأن تزداد طاعتك في سيرك إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالإنسانُ كما يقف مع نفسه قبل رمضان، وكما يقف مع نفسه في رمضان، أهم وقفةٍ يقفها الإنسان مع نفسه ما بعدَ رمضان، هذه وقفة لابد لنا جميعًا أن نقفها، وأن يراجع الإنسان منا نفسه، ولا يلتفت إلى غيره ولا إلى مَن حوله.

فإذا لمْ يؤثِّر رمضان في أخٍ تعرفه أو طالب علم تلتزمه، إذا لمْ يؤثِّر فيه فلتكن أنتَ الذي تأثرتَ، ولتعتبر أن هذا التشريع إنما هو لكَ، وأن وجودك في هذه الحياة إنما هو لفترةٍ محدودة ومحطة قصيرة جدًا -الحقيقة-.

منذ أنْ وُلدتَ إلى أنْ تموتَ وأنتَ في مراحل سيرٍ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذه دنيانا ليست هي دارنا وليست هي مستقرنا، إنما هي معبرٌ نعبر منه إلى الآخرة، أنتَ وُلدت لتكون في الآخرة، لكن هذه الدنيا مَعْبَرٌ فقط؛ قنطرة نتجاوزها، فما

حالُكَ وأنتَ على هذه القنطرة؟ لا تلتفت إلى شيءٍ من أمور الدنيا إنما تحاول أن تجتاز هذه؛ لتَعُودَ إلى دارِك ووطنك الأصلي، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّها مَنازِلُكَ الأُوْلَى وَفِيها المُخَيَّمُ.

لَكِنَّنا سَبْيُ العَدُوِّ فَهَلْ تَرَى نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنَسْلَمُ؟

الإنسانُ في هذه الحياة سَبْيٌ -من السَّبْي-، أنتَ سبيٌ الآن؛ مأسورٌ عند الأعداء، فهل اليوم تعود فيه إلى وطنك الحقيقي ومقامك الذي أعده الله عَزَّوَجَلَّ لك؟

هذه مسألةٌ -أحبتي- لابد أن نتواصى بها وأن نتناصحَ فيها، وما العلم الذي نتعلمه ولا الدروس التي نأخذها إلا أمر يساعدنا على أن نصحح سيرنا إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فبين محطات العبودية التي تكون في رمضان، في عشرِ ذي الحجة، في مواسم الخيرات، وبين محطات التعلم، يسير الإنسان إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هذا العلم يقودُ إلى شيء واحد هو الخشية، لهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حاصرًا الخشية في أولي العلم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

الذي يخشى اللهَ حقَّ خشية هو الذي يعرف اللهَ حقَّ معرفته، ولهذا جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «**أَمَا إِنِّ أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ أَنَا**».

فالنبيُّ ﷺ كان أخشى الناس لربه، وأخشى الناس لربه؛ ذلك أنه أعرف الناس بربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لا فرقَ بين محطة العبودية وبين محطة التعلم، ولهذا إنْ لمْ يُكْسِبكَ التعلمُ خشيةً لله وإقبالًا على الله وتعظيمًا لأوامر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولشعائر الله عَزَّوَجَلَّ، فقف فليس علمُكَ هذا محمودًا، وليس سيرك في هذا التعلم صحيحًا..

راجعْ لِمَن تطلب العلم؟ ولِمَ تطلب العلم؟ أكيد بأن هناك خللًا في حياتك - إنْ لمْ يُكسبكَ العلمُ خشيةً-، ولهذا كان السلف إذا كتبَ أحدهم حرفًا في هذا العلم ينظر هل ازداد خشيةً لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ازداد إقبالًا على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أم لا؟

إنْ أكسبكَ تعلُّم الحديث وتعلُّم القرآن وتعلُّم الفقه وغير ذلك من العلوم خشيةً لله، فاعلمْ أنك على الدرب سائرٌ، وأنك على المنهج مواصلٌ، وإلا فراجعْ نفسك وتداركْ نفسك.

فأنصح أنفسنا المقصرة وإخواننا بأنْ يصححَ الإنسان دائمًا مساره إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأن يجدد إيمانه في كل محطة من هذه المحطات) [١].

---

(١) محاضرة: وقفةٌ مع طلبة العِلم بعد رمضان.

الفهرس

الْمُقَدِّمَةُ ٦

الْفَصْلُ الأَوَّلُ: وَقَفَاتٌ بَيْنَ يَدَيّ رَمَضَانَ

الْوَقْفَةُ الأُولَى: نِعْمَةُ بُلُوغِ شَهْرِ رَمَضَانَ ١٢

الْوَقْفَةُ الثَّانِيَةُ: كَيْفَ تَسْتَقْبِلُ شَهْرَ رَمَضَانَ؟ ١٦

- ✓ أَوَّلًا: بَدَارِ إِلَى التَّوْبَةِ، وَأَنْ تَكُونَ مَحِلًّا لِنُزُولِ فَضْلِ اللهِ عَلَيْكَ ١٦
- ✓ ثَانِيًا: وَقْفَةٌ مَعَ الْقَلْبِ ٢٥
- ✓ ثَالِثًا: رَمَضَانُ.. وَفَضَائِلُ الْأَعْمَالِ ٢٨
- ✓ رَابِعًا: رَمَضَانُ.. وَعِبَادَةُ الْوَقْتِ ٣٨
- ✓ خَامِسًا: الْجَنَّةُ وَالنَّارُ تَسْتَقْبِلَانِ رَمَضَانَ، فَأَيْنَ اسْتِقْبَالُكَ أَنْتَ؟! ٤١
- ✓ سَادِسًا: كَيْفَ تَقْضِي يَوْمًا رَمَضَانِيًّا عَلَى وِفْقِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ؟ ٤٤
- ✓ سَابِعًا: لَابُدَّ أَنْ نَتَعَلَّمَ أَحْكَامَ الصِّيَامِ ٤٨

الْفَصْلُ الثَّانِي: رَمَضَانُ.. وَقَفَاتٌ وَتَأَمُّلَاتٌ

الْوَقْفَةُ الْأُولَى: فِقْهُ الصِّيَامِ ٥٠

- ✓ أَوَّلًا: تَعْرِيفُ الصِّيَامِ، وَهَلْ يَلْزَمُ لِصَوْمِ رَمَضَانَ تَبْيِيتُ النِّيَّةِ أَمْ لَا؟ ٥٠
- ✓ ثَانِيًا: حُكْمُ الوِصَالِ، وَفَوائِدُ تَعْجِيلِ الفِطْرِ ٥٥
- ✓ ثَالِثًا: حُكْمُ صَوْمِ رَمَضَانَ ٥٨
- ✓ رَابِعًا: أَنْوَاعُ الصِّيَامِ، وَبَيَانُ أَنَّهُ تَدُورُ عَلَيْهِ الأَحْكَامُ الخَمْسَةُ ٥٩
- ✓ خَامِسًا: بِمَ يَجِبُ صِيَامُ رَمَضَانَ؟ ٦٣

- ✓ سَادِسًا: حُكْمُ صِيَامِ يَوْمِ الشَّكِّ ٦٥
- ✓ سَابِعًا: عَلَى مَنْ يَجِبُ صِيَامُ رَمَضَانَ؟ ٦٦
- ✓ ثَامِنًا: مُفْسِدَاتُ الصِّيَامِ ٧٥

الْوَقْفَةُ الثَّانِيَةُ: فِقْهُ الاعْتِكَافِ ٨٠

- ✓ أَوَّلًا: تَعْرِيفُ الاعْتِكَافِ ٨٠
- ✓ ثَانِيًا: زَمَنُ الاعْتِكَافِ ٨١
- ✓ ثَالِثًا: أَقْسَامُ الاعْتِكَافِ ٨٣
- ✓ رَابِعًا: آدَابُ الاعْتِكَافِ، وَمَتَى يَبْطُلُ؟ ٨٥
- ✓ خَامِسًا: حُكْمُ خُرُوجِ الْمُعْتَكِفِ مِنَ الْمَسْجِدِ ٨٦
- ✓ سَادِسًا: هَلْ تَجُوزُ زِيَارَةُ الْمُعْتَكِفِ؟ ٩٢
- ✓ سَابِعًا: اِحْرِصْ عَلَى تَحَرِّي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ٩٤

الْوَقْفَةُ الثَّالِثَةُ: فِقْهُ صَدَقَةِ الْفِطْرِ ٩٧

- ✓ أَوَّلًا: حُكْمُ صَدَقَةِ الْفِطْرِ، وَمِقْدَارُهَا ٩٧
- ✓ ثَانِيًا: عَلَى مَنْ تَجِبُ صَدَقَةُ الفِطْرِ؟ ٩٩
- ✓ ثَالِثًا: حُكْمُ إِخْرَاجِ صَدَقَةِ الْفِطْرِ مَالًا ١٠٠
- ✓ رَابِعًا: وَقْتُ إِخْرَاجِ صَدَقَةِ الفِطْرِ ١٠٣
- ✓ خَامِسًا: حُكْمُ التَّوْكِيلِ فِي صَرْفِ صَدَقَةِ الْفِطْرِ ١٠٤

الْفَصْلُ الثَّالِثُ: مَاذَا بَعْدَ رَمَضَانَ؟

- ✓ أَوَّلًا: عُبُودِيَّةٌ يَغْفَلُ عَنْهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَمَضَانَ ١٠٦

✓ ثَانِيًا: هَلْ قُبِلَ صِيَامُكَ أَمْ لَا؟ ١١٥
✓ ثَالِثًا: هَلْ تَغَيَّرَ حَالُكَ وَازْدَادَتْ طَاعَتُكَ بَعْدَ رَمَضَانَ أَمْ لَا؟..... ١١٧
✓ رَابِعًا: إِنْ كَانَ قَدِ انْتَهَى رَمَضَانُ فَإِنَّ التَّعَبُّدَ لَمْ يَنْتَهِ..... ١٢٠
✓ خَامِسًا: الْعُبُودِيَّةُ وَظِيفَةُ الْعُمْرِ ١٢٣
✓ سَادِسًا: مَوَاسِمُ الطَّاعَاتِ لَا تَنْتَهِي ١٢٧
✓ سَابِعًا: فَوَائِدُ الْمُوَاظَبَةِ عَلَى الطَّاعَةِ ١٢٩
✓ ثَامِنًا: رَاجِعْ نَفْسَكَ، وَجَدِّدْ إِيمَانَكَ ١٣٣